

ISSN-L :2617-3158

P-ISSN :2710-107X

E-ISSN :2710-0324

DOI:10.52840



# أبواث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدرها كلية التربية بالحديدة - جامعة الحديدة

(المجلد التاسع) (العدد الثاني - يونيو ٢٠٢٢م)

[www.abhath-ye.com](http://www.abhath-ye.com)



# أبحاث

مجلة علمية محكمة ربع سنوية

ISSN-L: 2617-3158

P-ISSN: 2710-107X

E-ISSN: 2710-0324

[www.abhath-ye.com](http://www.abhath-ye.com)



المجلد التاسع - العدد الثاني (يونيو ٢٠٢٢م)

## محتويات العدد

- الأسس العامة للسانيات، في اللسانيات التمهيدية الموجهة إلى القارئ العربي
- د. خالد عبد الحليم العبسي.....(١ - ٦١)
- منهج العلامة يحيى بن القاسم العلوي المشهور بـ (الفاضل اليمني) (المتوفى سنة: ٧٥٠هـ) في تفسيره "مباحث التنزيل ومفاتيح أبواب التأويل"
- د. سعيد محمد عبد السلام الحداد & أ. نبيلة عبد القوي عبده ثابت الحميري.....(٦٢ - ١١٣)
- التنمية السياحية المستدامة في جزيرة كمران ( معطيات وتوجهات )
- د. فتح علي عبد الله الشعبي.....(١١٤ - ١٥٨)
- الحديث الكذب والموضوع عند الإمام أبي حاتم الرازي من خلال كتاب الجرح والتعديل لابنه
- د. هشام بن عبد العزيز بن سعد الحلاف.....(١٥٩ - ١٩٨)
- ركائز تدبر القرآن الكريم "دراسة تأصيلية تطبيقية"
- د. عبد الرحمن بن سند بن راشد الرحيلي.....(١٩٩ - ٢٣٦)
- الأحكام التكليفية للعلاقات المالية في الإجارة والقرض
- د. أحمد بن محمد بن أحمد الأزوري.....(٢٣٧ - ٢٨٠)
- الهدى النبوي في الوقاية من الأوبئة، والحد من انتشارها، والاستفادة منه في مجال الدعوة
- د. فهد عامر العجمي.....(٢٨١ - ٣٣٦)
- قسمة مال الصلح عن القصاص بين أولياء الدم
- د. مشعل بن صالح بن عبد الله المهلب.....(٣٣٧ - ٣٧٠)
- مصطلح (من أوعية العلم) دراسة نظرية عامة ونماذج تطبيقية من كتاب "تذكرة الحفاظ" للذهبي
- د. عبير سالم مطلق الحربي.....(٣٧١ - ٤٠٨)
- الدلالات الدعوية لربط أركان الإسلام بالآيات الكونية دراسة تحليلية دعوية
- د. حسن بن يحيى ظافر الشهري.....(٤٠٩ - ٤٥٢)
- المواطنة الرقمية في ميزان الشريعة الإسلامية
- د. علي مناور رده الجهني وآخرون.....(٤٥٣ - ٤٩٢)
- شعر محمد محمود الزبيري: دراسة أسلوبية قصيدة رثاء شعب نموذجاً
- د. عمر بن نوح بن تامر المطيري.....(٤٩٣ - ٥٣٧)

الأسس العامة للسانيات، في اللسانيات التمهيدية الموجهة إلى القارئ العربي

د. خالد عبد الحليم العبسي

أستاذ اللسانيات المساعد بكلية اللغات - جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية

kha0123@hotmail.com

تاريخ تسلم البحث: ٢٠٢٢ / ٤ / ٨ م تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٢ / ٥ / ٩ م

Doi: 10.52840/1965-009-002-001

**الملخص:**

موضوع "الأسس العامة للسانيات" واحد من موضوعات متعددة تُعنى بها مؤلفات "اللسانيات التمهيدية"، وهو يختص ببيان الأسس التي تميز الدرس اللساني الحديث - مع اختلاف اتجاهاته - من الدرس اللغوي القديم، ويتناول هذا البحث - بصورة موسّعة - الأسس المميّزة للبحث اللساني الحديث من نظيره القديم في سياق قارئ يتّمسّح إلى ثقافةٍ مخصوصةٍ "القارئ العربي"، ومعنى ذلك أنه يتناول الأسس التي تميز البحث اللساني الحديث من الدرس اللغوي في التراث العربيّ، وفي ذلك بيان لموضوع لم يستوف حقه في مؤلفات "اللسانيات التمهيدية" الموجهة إلى القارئ العربي.

**الكلمات المفتاحية:** الأسس العامة للسانيات، اللسانيات التمهيدية، اللسانيات العربية،

البحث اللغوي عند العرب.

## The General Foundations of Linguistics in Introductory Linguistics Addressed to the Arab Reader

Dr. Khaled Abdel Halim Al-Absi

Assistant Professor of Linguistics, Faculty of Languages

Sana'a University - Yemen

kha0123@hotmail.com

Date of Receiving the Research: 8/4/2022

Research Acceptance Date: 9/5/2022

Doi: 10.52840/1965-009-002-001

### Abstract:

General Foundations of Linguistics is one of several subjects dealt by the literature of 'Introductory Linguistics' which aims to clarify the foundations of modern linguistics with all its different trends compared to ancient linguistics. This paper comprehensively addresses the characteristic foundations of modern linguistics research, in the context of Arabic readers. Such comparisons of distinctive features between modern linguistic research and classic Arabic one has not yet been fully explored.

**Keywords:** general foundations of linguistics, linguistics, Arabic linguistics, linguistic research among Arabs.

## المقدمة:

نتناول في هذه المقدمة ثلاث قضايا سعيا للكشف عن طبيعة هذا البحث، وبيانا للمشكلة التي يقف عليها، وهي على النحو الآتي:

القضية الأولى: المصطلحات الأساسية في عنوان البحث

## أ- اللسانيات التمهيدية

تقع مؤلفات "اللسانيات التمهيدية" حقلًا لهذا البحث، ويمكن تحديدها بأنها: مؤلفات ذات طابع تعليمي تتوخى التبسيط والتوضيح، ولذلك يطلق عليها أحيانا "اللسانيات التبسيطية أو التيسيرية". هذه المؤلفات، الميسرة نسبيًا، تعرض القضايا الأساسية في علم اللسانيات، ويشمل ذلك عددا من الموضوعات، منها: اختلاف اللسانيات مما سبقها من جهود معرفية عُنت بالبحث اللغوي، والظهور التاريخي للسانيات، وخصائص اللغة الإنسانية، ومناهج التحليل في مستويات اللغة، وفروع اللسانيات، والاتجاهات اللسانية المختلفة<sup>(١)</sup>، وهي موضوعات تحقق للقارئ المعرفة الأساسية من علم اللسانيات، وإن كانت تلك المؤلفات التمهيدية -في الواقع- تتفاوت كثيرا في طريقة عرض تلك المواضيع ومقدار التوسع فيها، وكثيرا ما ترتبط عنوانات مؤلفات اللسانيات التمهيدية بطابعها التبسطي<sup>(٢)</sup>، مثل "مبادئ ألسنية عامة" و"مفاتيح الألسنية" و"مدخل إلى اللسانيات" و"مدخل لفهم اللسانيات".

وتتوجه مؤلفات اللسانيات التمهيدية بالأساس إلى طالب يُعنى بالبحث اللغوي، وغالبا ما يكون في المرحلة الجامعية الأولية، ويمكن أن يُفيد منها أيضا باحثٌ في مجال آخر يتداخل مع اللغة، أو قارئ عام يطلب الثقافة والتعرف إلى هذا الفرع العلمي<sup>(٣)</sup>، ويقابل هذا النوع مؤلفات

(١) تبيّن تلك المواضيع بالاطلاع على محتويات مؤلفات اللسانيات التمهيدية، وقد اطلعنا لهذه الغاية على ما يربو على ستة عشر كتابا أجنبيا في اللسانيات التمهيدية، معظمها مما تُرجم إلى العربية من لغات مختلفة، وفيها كتابان مما هو مكتوب بالإنجليزية، ويمكن الوقوف عليها جميعا في قائمة المصادر والمراجع.

(٢) يُنظر: حمادية، العياشي، اللسانيات التمهيدية بين الكتابة العربية والكتابة المترجمة: ٤٠٩.

(٣) لتعريف اللسانيات التمهيدية، ينظر أيضا: غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: ٩١، حمادية، العياشي، اللسانيات التمهيدية بين الكتابة العربية والكتابة المترجمة: ٤٠٦.

"اللسانيات التخصصية"، وهي تتناول قضايا لسانية بشكل تخصصي معمق، وعادة ما تكون متوجهة إلى متخصصين في البحث اللساني قد اجتازوا مرحلة القضايا الأساسية.

#### ب- الأسس العامة للسانيات

يتعرض المؤلفون في اللسانيات التمهيدية عادة إلى تعريف الفرع المعرفي الذي يشتغلون به، شأنهم شأن غيرهم من المختصين في فروع معرفية أخرى، فيورد اللسانيون لتلك الغاية تعريفا مختصرا للسانيات "الدراسة العلمية للغة"، وينبئ التعريف المختصر على عنصر حاسم "العلمية"، وذلك في محاولة لرسم حدود واضحة للسانيات، وبيان التفرد الإستيمولوجي الذي تنماز به اللسانيات الحديثة من الفكر اللغوي التقليدي في الحضارات القديمة المختلفة.

ومن الحق أن اللسانيين أنفسهم يختلفون حول المعاني الضمنية لمصطلح "العلم"، وعلى أساس ذلك الاختلاف تتعدد المدارس اللسانية المعاصرة، بل إن تعريف "اللغة" نفسها يختلف بحسب النظرة الفلسفية التي تنطلق منها المدرسة اللسانية، لكن اللسانيين مع ذلك يتفقون عموما حول فروق أساس بين الدراسة العلمية للغة والدراسة اللاعلمية للغة<sup>(٤)</sup>، فهذا المقدار من الاتفاق هو ما نضطلع على تسميته "الأسس العامة للسانيات"، وهو موضوع واحد من موضوعات عدة - كما تقدم - تُعنى بها مؤلفات اللسانيات التمهيدية، ويمكن تعريفه بأنه "الأسس التي تميز الدرس اللساني الحديث - مع ما بين الاتجاهات اللسانية الحديثة من اختلافات - من الدرس اللغوي القديم".

#### القضية الثانية: مؤلفات اللسانيات التمهيدية الغربية و"الأسس العامة للسانيات"

تقدم اللسانيات نفسها على أنها معالجة للغة مغايرة إستيمولوجياً عن المعالجات السالفة للغة في تجارب إنسانية متنوعة في حضارات مختلفة، وأنها إبدالاً معرفي بين الحديث والقديم في البحث اللغوي، يقول لوينز: "من المعتاد أن تميز كتب المقدمات إلى اللغويات تميزاً حاداً ما بين علم قواعد اللغة التقليدي واللغويات الحديثة، فتعقد مغايرة ما بين الوضع العلمي للغويات الحديثة والوضع غير العلمي للقواعد التقليدية"<sup>(٥)</sup>، فذلك التمييز الحاد - بحسب تعبيره - إنما

(٤) يُنظر: لوينز، اللغة واللغويات: ٥٧، السعران، علم اللغة: ١٤-١٥، غلفان، اللسانيات العربية: ١١.

(٥) لوينز، اللغة واللغويات: ٥٨.

يأتي بغرض بيان الفارق المعرفي بين اللسانيات والبحث اللغوي التقليدي، ويشير لوينز إلى الفكرة نفسها في كتاب آخر "اللغة واللغويات" بطريقة أخرى، فيقول عند استعراضه خصائص اللسانيات: "أهم ما يعيننا الآن أن علم اللغة - كما نعرفه اليوم - ما هو إلا تطوراً لمعارضة واعية لخصائص المناهج التقليدية في الدراسة اللغوية خلال القرون الماضية"<sup>(٦)</sup>، فالوصفان "تطور" و"معارضة واعية" إشارة إلى تراكم معرفي حققته اللسانيات وإلى وعي بتمييزها عمّا سبقها من مناهج تقليدية، ومن جنس ما مضى أن فوك و-قوفيك<sup>(٧)</sup> في كتابها "مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة" تطرّقا في "المقدمة" إلى صفة "العلمية" في تعريف اللسانيات، فقالا: "ومن المتفق عليه اليوم في الأوساط اللسانية أن ننشد صفة علمية لسانيات حديثة، لتكذيب تلك النظرية اللسانية، ألا وهي النحو التقليدي"<sup>(٨)</sup>، وتعبير "تكذيب" يصف نظرة حديّة من اللسانيات مباينة لنظيرها القديم.

وقد ذكر لوينز في السياق السابق من كتابه "اللغة واللغويات" أن مما يميز اللسانيات أنها أكثر تجريبية وموضوعية، ولم يقف لوينز على هذه القضية مطوّلاً في كتاب "اللغة واللغويات" (١٩٨١)، ويبدو أن سبب ذلك تناوله إياها سابقاً؛ إذ خصّص جُلّ الفصل الثاني في كتاب له سابق "نظرية تشومسكي" (١٩٧٠) للحدّث عن الفروق بين اللسانيات والدرس اللغوي التقليدي، ويقع هذا الفصل - مع هوامش المترجم - في نحو عشرين صفحة<sup>(٩)</sup>.

(٦) لوينز، نظرية تشومسكي: ٣٩-٦٠.

(٧) نضع الشرطة (-) بين حرف العطف والاسم الأجنبي لبيان أن الواو "حرف عطف" لا "حرف أصلي" من الاسم الأجنبي، ويحتاج إلى ذلك عند عطف اسم أجنبي على اسم آخر رفعا للباس؛ لئلا يُظن الاسم الأول اسماً شخصياً، والاسم الثاني لقباً للشخص السابق نفسه مبدوءاً بـ"واو"، ومثال ذلك أيضاً "تودوروف و-ديكر"، وقد نقلنا عن مقالة مشتركة لهما في هذا البحث، ونرى أن ذلك مما يُحتاج أن يُضاف إلى التطوير في وظائف بعض علامات الترقيم رفعا لمثل هذا اللبس.

(٨) فوك و-قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة: ١٢، و"ننشد صفة علمية لسانيات حديثة" تقتقر إلى السلاسة، وكذا وردت عند المترجم.

(٩) يُنظر: لوينز، نظرية تشومسكي: ٣٩-٦٠.

وتذكر جين آتشسن في كتابها "اللسانيات" أن غرضها من الفصل الأول توضيح أوجه الاختلاف بين اللسانيات والدرس اللغوي التقليدي<sup>(١٠)</sup>، وتعتقد فيه عنوانا فرعيا "أوجه الاختلاف بين اللسانيات والقواعد التقليدية"، ولعله من الطريف أن دافيد كريستل في كتابه "التعريف بعلم اللغة" - وهو المكوّن من ثلاثة فصول - جعل الفصل الأول بعنوان "موضوعات ليست من علم اللغة"، والفصل الثاني بعنوان "موضوعات علم اللغة"، فبدأ أولا ببيان ما ليس من اللسانيات، وغرضه في ذلك التمييز - ما تقدّم - من الفصل بين الحديث والقديم في معالجة اللغة.

### القضية الثالثة: أهمية "الأسس العامة للسانيات" للقارئ العربي في سياقه الثقافي الخاص

يتناول هذا البحث "الأسس العامة للسانيات" للقارئ العربي، فهو يميّز بين اللسانيات والفكر اللغوي التقليدي عند العرب خصوصا، فهذا الأخير هو التراث اللغوي الذي ننتمي نحن - العرب - إليه، وما شكّل كثيرا من وعينا اللغوي. وهي مقابلة تقدّم للمبتدئ العربي في اللسانيات تلك الفروق بأمثلتها التطبيقية، لئلا يظّل الحديث عن خصائص اللسانيات على مستوى تجريدي، وتأتي الأمثلة - فيما نُقدّر - متنوّعة ومتفاوتة بين البساطة وشيء من التعقيد، ونأمل أن يكون في النوع الثاني شيء من تدريب القارئ على المناقشات اللسانية، ولا شك أننا لا نعني ببيان تلك الحدود الفاصلة للقارئ العربي استبعاد التمثيل من اللغات الأخرى، بل إن تأييد بعض القضايا اللسانية بنظائر من لغات إنسانية مختلفة يُضفي على القضية مزيدا من الإثبات والوضوح، فضلا عن أن من سمات اللسانيات تناول العام للغات الإنسانية، ولكن المراد أن يبقى الدرس اللغوي عند العرب الإطار الأساس الذي يُراد مقابلة الدرس اللساني الحديث به.

إنّ المعنى وراء الحديث الموازن بين اللسانيات والدرس اللغوي التقليدي في كتاب تعليمي - لا يخفى، فتلك الموازنة تُسهّم في وضع السمات الفارقة بين طبيعة الحديث والقديم تجاه عدد من القضايا أمام القارئ مع توضيح ذلك بالأمثلة الملائمة؛ إذ تثبّت تلك الفروق بين القديم والحديث أوجه التراكم المعرفي في البحث اللغوي لدى الإنسان - التراكم الذي يأتي في مصلحة المتأخّر زمانا منها: اللسانيات.

(١٠) يُنظر: آتشسن، اللسانيات: ٣١.

وعلى الرغم من الأهمية البالغة المشار إليها لموضوع "الأسس العامة للسانيات"، لم أقف - في حدود اطلاعي - في اللسانيات التمهيدية المكتوبة بالعربية أصالة (الموجهة إلى القارئ العربي) على مَنْ وقف على الخصائص التي افتقرت بها اللسانيات عن البحث اللغوي الذي ينتمي إليه القارئ العربي باستقصاء تلك الخصائص المختلفة وبما يتواءم مع كون ذلك موضوعاً أساسياً في "اللسانيات التمهيدية".

ونؤكد هنا أنه ليس الغرض من مقابلة اللسانيات بالفكر اللغوي عند العرب استصدار أحكام التخطيط على ذلك الجهد السابق أو التقليل من شأنه كما يوجد في أقلام معاصرة؛ إذ لا تتحقق مقارنة موضوعية بين حقلين معرفيين بينهما أكثر من عشرة قرون، وإنما أساس هذه المقابلة يعود إلى الفارق الزمني بين اللسانيات الحديثة والبحث اللغوي عند العرب، فالزمان قد وقف في صف المتأخر منهما، فضلاً عن سمة التراكمية في العلم وأن كل متأخر أخذ عمّن تقدّمه. إن للفكر اللغوي العربي القديم مكانته بين ما قدّمته الأمم قديماً من جهود لدراسة اللغة، وقد أنجز العرب والمسلمون في مطلع حضارتهم جهوداً مميزة في وصف العربية؛ إذ جمعوا اللغة من مصادرها المختلفة، مثل الشعر والقراءات والكلام المتداول، وشافهوا الأعراب وتبعوا لهجات القبائل في البوادي، ومن كل ذلك الاختلاف وضعوا القواعد المعيارية في النحو والصرف، ودرسوا العربية في جانبها الصوتي، فتناولوا قضايا على مستوى الصوتيات (phonetics) والصّوابة (phonology)، وكان العرب أوّل من ألف المعاجم العامة، ودرس علماء أصول الفقه اللغة، وكان لهم دور مهم في بيان دور السياق والمقام في الكلام؛ لكن كل معرفة محكومة بظروفها الثقافية والتاريخية ولا تستطيع تجاوز ذلك السياق القسري، فالإطار المعرفي الذي انتظمت فيه أفكار النحاة العرب القديما له حدوده، ولم يكن ذلك الإطار يمكنهم أن يروا أكثر مما رأوه، ويضاف إلى ذلك أن ما تسامت به اللسانيات علمياً عن البحث اللغوي عند العرب ينطبق - وإن بصورة مغايرة - على أنواع من الفكر اللغوي القديم في حضارات إنسانية أُخرى، أي الفكر اللغوي الذي يوصف بأنه "قبل-علمي"، وإنما غرض المقابلات السابقة بيان خصائص اللسانيات الحديثة واختلافها عن الفكر اللغوي في تراثنا.

ختاماً لا يفوتني أن أتطرق إلى العلاقة الشخصية بهذا الموضوع، وهو أنني كنت في المرحلة الجامعية الأولى أقرأ في كتب اللسانيات التمهيدية المترجمة، فأقف على تنبيههم على ما يميّز بين

اللسانيات وقديمهم في البحث اللغوي، فكنت أرغب في معرفة ما يقابل ذلك: اللسانيات وقديمنا في البحث اللغوي، فلا يسعفني في ذلك شيء ذو بال، وأفتقد من يحيط بالموضوع ويعطيه حقه بشمول، ثم تمضي السنون، ويُعهد إليّ بتدريس مقرّر "مبادئ اللسانيات" في برنامج البكالوريوس بقسم اللغة العربية - كلية اللغات - جامعة صنعاء، وقد تناولت فيها موضوع "الأسس العامة للسانيات"، وقد درّست المقرّر لما يزيد عن خمس سنوات متتالية، فكنت أنفّح وأطوّر وأضيف في الأفكار والأمثلة بما هو أنسب مراقبا لتلقي الطلاب، وقد عنّ لي أخيرا أن أخرج ذلك الجهد في بحث مستقل وإجراء ما يقتضي لهذا الإطار الجديد، والتقديم له بما يلزم من قضايا مهمّدة تبيّن سياق البحث ومسوّغاته الموضوعية، وذلك بغرض إفادة المكتبة العربية في مجال اللسانيات التمهيدية.

### أهداف البحث:

يستهدف هذا البحث بيان طبيعة الدرس اللساني الحديث والتفريق بينه وبين الدرس اللغوي التقليدي عند العرب من خلال بيان خصائص اللسانيات الآتية:

- ١- علمية اللسانيات
- ٢- التفريق بين المنطوق والمكتوب (بين الصوت والحرف)
- ٣- استقلالية التحليل اللغوي في اللسانيات
- ٤- اللسانيات دراسة وصفية لا معيارية
- ٥- اللسانيات وإدراك الطبيعة الاجتماعية للغة
- ٦- اللسانيات وتكامل التحليل بين مستويات اللغة
- ٧- اللسانيات واستعمال الوسائل التقنية الحديثة
- ٨- اللسانيات وتداخل اللغة بحقول إنسانية أُخر
- ٩- اللسانيات والوعي بالمنطلقات النظرية في البحث اللغوي
- ١٠- اللسانيات والسعي إلى بناء نظرية لها صفة العموم يمكنها وصف جميع اللغات الإنسانية.

الأسس العامة للسانيات

تتشرك المدارس اللسانية الحديثة عند مقابلتها بالدرس اللغوي القديم بسمات مشتركة تميزها عنه، تلك المشتركات نسميها "الأسس العامة للسانيات"، ويمكن بيانها بالآتي:

١ - علمية اللسانيات

لا شك أن كل دراسة قديمة للغة كانت تنسب نفسها للعلم، لكن مفهوم العلم نفسه قد ترقى إلى درجات من الضبط والإتقان بفضل ما حققه الإنسان من تراكم في المعرفة في جميع حقولها، ونريد بالعلمية هنا محاولة دراسة اللغة انطلاقاً من أسس موضوعية يمكن التحقق منها وإثباتها بطريقة منهجية واضحة، ومعنى ذلك النأي عمّا يصاد ذلك من إطلاق أحكام لا تستند إلى دليل علمي.

وثمة صور عدّة لما يفتقد العلمية - بالتعريف المذكور - في الدرس اللغوي عند العرب، ويمكن بيانها بالآتي:

أ - مشكلة انعدام البرهنة

نجد أحياناً في النحو التقليدي العربي ما لا يستند إلى برهنة علمية، ومن أمثلة ذلك اختلاف النحاة في أصل "لن" الناصبة للفعل المضارع. زعم الخليل والكسائي أن أصلها "لا أن" فحذفت الهمزة تخفيفاً، ثم حذفت الألف لالتقاءها بالنون الساكنة، وزعم الفراء أن أصلها "لا" فأبدلت الألف نوناً<sup>(١١)</sup>. إن هذه الآراء في أصل "لن" لم تعتمد على منهج تاريخي صحيح يثبت تلك المراحل في تغيير "لن" بالاستناد إلى ما يلزم من الأدلة المادية (نقوش ونحوها)، بل هي حالة تأملية ذات تخمين وحدس، والمثال الآخر "مهما" الشرطية؛ إذ زعم نحاة أن أصلها "ماما"، أي "ما" الشرطية و"ما" الزائدة، ثم أبدلت الألف الأولى هاء دفعا للتكرار<sup>(١٢)</sup>، ولم يكن هناك منهجية تاريخية صحيحة اعتمدوا عليها.

ونجد في النحو التقليدي خصوصاً في قضايا يتعدّر البرهنة عليها، وفوق ذلك يخالفها الواقع اللغوي، ومن ذلك مسألة "أصل المشتقات"، فقد ذهب القدماء إلى أحادية أصل المشتقات. رأى

(١١) يُنظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ١ / ٢٨٤.

(١٢) يُنظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ١ / ٣٣١.

البصريون أن أصلها "المصدر"، ورأى الكوفيون أن أصلها "الفعل الماضي" (١٣)، ومعنى ذلك أن المشتقات مثل اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعال التفضيل واسم الآلة واسم الزمان واسم المكان والفعل المضارع والفعل الأمر وغيرها اشتقت جميعاً من "المصدر" على قول، ومن "الفعل الماضي" على قول، لكن الخوض في كيفية ظهور الكلمات ذات الجذر الجديد في العربية، والحكم بأن الكلمة الجديدة لا تكون إلا مصدراً (على قول) أو فعلاً ماضياً (على قول)، وأن بقية الصيغ تتناسل من ذلك الظهور الأولي - مما يتعذر البرهنة عليه، ومن الحق أننا لا نمتلك طريقة علمية موثوقة تمكننا من الحديث عن ماضي العربية السحيق والحكم لصيغة ما بأولية الظهور وبالسبق الدائم لغيرها، بل قد يكون التشكل الأول للعربية أكثر تعقيداً مما يفرضه الخلاف المشار إليه، وغير ما نتصوره.

ويُضاف إلى المشكلة السابقة أننا نجد واقع العربية على خلاف دعوى المذهبين في أصل المشتقات، فثمة مصادر لا أفعال لها، مثل "وَيْلٌ" في الدعاء على الإنسان، و"وَيْحٌ" في الدعاء له، وهناك أفعال لا مصادر لها، مثل: "تعال، هلم، يذر" وغيرها، وثمة أفعال ذات خصوصية نحوية لا مصدر لها، مثل: ليس، حبذا، نعم، بئس، كاد، أوشك وغيرها (١٤)، وكل واحد من الأمرين يُشكل على أحد المذهبين، ومن أقوى ما يعترض دعواهم أننا حين نتأمل واقع العربية نلاحظ أن العرب يشتقون بطرائق متعددة؛ فقد اشتقوا من أسماء الأعيان، وهو باب واسع جداً؛ فمن "أسد" قالوا "استأسد"، ومن "ذهب" قالوا "مُدَّهَبٌ"، واشتقوا من أسماء المواضع؛ فمن "عراق" قالوا "أعرق"، ومن "تهامة" قالوا "أتهم"، واشتقوا من العلم؛ فمن "نزار" قالوا "تنزَّرَ"، ومن "قحطان" قالوا "تقحطن" (أي انتسب إليهم أو جاورهم)، واشتقوا من أعضاء الإنسان؛ فمن "بطن" قالوا "مبطون"، أي "يشتكي بطنه"، ومثله "مصدور"، ومن "رأس" قالوا "رأسه"، أي "أصاب رأسه"، ومثله "صدره" و"أذنه"، واشتقوا من الأعداد؛ فمن "واحد" قالوا "وحد"، ومن "اثنين" قالوا "ثنى"، ومن "ألف" قالوا "ألف"، واشتقوا من حروف المعاني، فمن "سوف" قالوا "سوف"، ومن "نعم" الجوابية قالوا "أنعم"، واشتقوا من

(١٣) يُنظر مثلاً: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٩٠ وما بعدها.

(١٤) للمزيد عن ذلك، يُنظر: النجار، الأفعال التي لا مصادر لها بين اللغويين والنحويين: ١٧ وما بعدها، ٧٣ وما بعدها.

الأعجمي، فمن "منجنيق" قالوا "جنق"، ومن "درهم" قالوا "رجل مُدرهم"، واشتقوا من الأصوات، فمن "عاعا" (دعاء للماعز) قالوا "عاعيتُ للماعز"، وقد اشتقوا أيضا من المزيد (المشتق عند القدماء)، ومن ذلك أنهم قالوا "تمذهب" من "مذهب"، ف"الميم" زائدة وأصلها من مادة "ذهب"، وقالوا "تمسكن" من "مسكين"، وأصلها من مادة "سكن"، وقالوا "تمندل" من "منديل"، وأصلها من مادة "ندل"، أي ناول، وكل ما مضى يدل على إمكانات الاشتقاق المتعددة<sup>(١٥)</sup>، والخلاصة أن دعوى أحادية أصل المشتقات (المصدر عند البصريين، الفعل الماضي عند الكوفيين) مسألة تتعلق بالماضي السحيق للعربية، ولا يمكن الخوض فيها بطريقة علمية، والقول بأحادية أصل المشتقات يُصادم أمثلة كثيرة من واقع اللغة، فالصواب القول بتعدد إمكانية الاشتقاق، وأن العربية ذات طاقة ثرية في طرائق الاشتقاق.

#### ب- مشكلة انعدام الضبط المصطلحي

المصطلحات لغة العلم، ولا يمكن لمعرفة أن تشكل من دون مصطلح، وتُعدّ العناية بضبط اللغة التي تُقدّم بها المعرفة جزءا من مقتضى العلمية، ومن أجل ذلك يحرص اللساني على ضبط لغته العلمية وعلى تقديم شبكة مصطلحية دقيقة في وصفه للغة.

يرى اللسانيون أن ثمة مصطلحات جرى استعمالها لمدة طويلة من الزمن في البحث اللغوي التقليدي، لكنها غير دقيقة أو مبهمة<sup>(١٦)</sup>، وأقرب مثال يضربونه لذلك مصطلح "كلمة"، فقد يبدو أساسيا أو بسيطا لدرجة لا تحتل الإشكال، ولكن الأمر على خلاف ذلك تماما، فالكلمة - بالمفهوم الكتابي - عدد متصل من الحروف، ومعنى ذلك أن "أنلزمكموها" كلمة واحدة، مع أنها في التحليل النحوي: حرف استفهام + فعل + فاعل + مفعول أول + مفعول ثان، ومن وجهة نظر معجمية تنظر إلى المعنى يُعدّ كلُّ مما يأتي كلمة: الحبة السوداء، القمر الصناعي، وحيد القرن، قوس قزح، مع اختلافها نحويا، فالعلاقة بين الجزأين في الأمثلة الأولى الوصف، والعلاقة بين الجزأين في الأمثلة الثانية الإضافة، وفي المستوى التركيبي نعدّ جملة "هذا برمائي" وجملة "هذا فلزي" متناظرتين، مع أن الصرف الذي يُعنى بطرائق صياغة الكلمات يفرّق بين "فلزي"

(١٥) يُنظر: قُدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية: ٢١١-٢١٤.

(١٦) يُنظر: لويبنز، اللغة واللغويات: ٦٧.

و"برمائي"، فالثانية مركبة من كلمتين تنتميان إلى جذرين مختلفين، من أجل ذلك، يتخذ الصرف، بالمفهوم اللساني الحديث، الصُّرْفَةَ<sup>(١٧)</sup> (المورفيم) مقولةً تحليليةً، لا الكلمة. وثمة صور عدة تبين مشكلات المصطلحية في النحو التقليدي عند العرب، فمنها التداخل المصطلحي، أي دلالة المصطلح على أكثر من معنى، فمصطلح "المفرد" له ثلاثة استعمالات، فالمفرد في باب الإعراب: ما ليس مثنى ولا جمعا، لأن العلامة الإعرابية للمفرد (زيدٌ) غير العلامة الإعرابية للمثنى (زيدان) والجمع (زيدون)، والمفرد في باب النداء: ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، لأن المنادى المفرد (يا زيدٌ) يختلف إعرابه عن المنادى المضاف (يا طالع الجبل) والشبيه بالمضاف (يا طالعا جبلا)، والمفرد في باب الخبر: ما ليس جملة ولا شبيها بالجملة، لأن إعراب الخبر المفرد الرفع (هذا زيدٌ)، وإعراب الخبر الجملة في محل رفع (هذا يجتهدُ)، وإعراب الخبر شبه الجملة أيضا في محل رفع، لأنه يكون ظرفا منصوبا (هذا فوق الشجرة) أو جارا ومجرورا (هذا في الدار)<sup>(١٨)</sup>.

ومن مشكلات المصطلحية في النحو التقليدي عدم اتساق المصطلح مع تصورات في النظرية النحوية، فمن المعروف أن الاسم يكون له موقع إعرابي، ومما يخالف ذلك إطلاقهم مصطلح "أسماء الأفعال" على كل من: "صه، مه، حي، أف"، وليس في هذا النوع وجه صحيح يدل على الاسمية، وأوضح ما يدل على عدم اسميتها أنه لا موقعية لها؛ فلا تقع فاعلا ولا مفعولا ولا نائب فاعل... إلخ، وتلك هي وظيفة الاسم في الجملة، ومما يخالف ما مضى إطلاقهم مصطلح "أسماء الأصوات" على كلمات، مثل "غاق" محاكاةً لصوت الغراب، و"طق" محاكاةً لصوت الحجارة، وليس ثمة وجه صحيح يدل على اسمية هذا النوع من الكلمات، وأوضح ما يدل على عدم اسميتها أنها لا تقع فاعلا ولا مفعولا ولا مبتدأ ولا خبرا... إلخ.

(١٧) سيأتي تعريف الصرفة في "٤- اللسانيات دراسة وصفية لا معيارية".

(١٨) ويمكن أن يبقى مصطلح "المفرد" مقصورا على باب الإعراب، ونستعمل في باب النداء لأنواع المنادى المصطلحات الآتية: المقطوع عن الإضافة، والمضاف، والشبيه بالمضاف، ونستعمل في باب الخبر لأنواع الخبر المصطلحات الآتية: الخبر البسيط، مثل: زيد قائم، والخبر المركب، وهو نوعان: الجملة وشبه الجملة.

ومن المشكلات المصطلحية في النحو العربي عدم انطباق تعريف المصطلح على جميع أفرادها، ومثاله أنه يُقال في تعريف البناء: "البناء لزوم آخر الكلمة بسكون أو حركة" (١٩)، ويُقال في المبني إنه "الذي يلزم آخره طريقة واحدة، ولا يتغير آخره بسبب ما يدخل عليه" (٢٠)، ومن المبنيات عند النحاة "سيبويه" و"الذين"، ولا إشكال في ذلك للزومها حالة واحدة؛ إذ يُقال: "جاء سيبويه، رأيت سيبويه، مررتُ بسيبويه"، و"جاء الذين اجتهدوا، رأيتُ الذين اجتهدوا، مررتُ بالذين اجتهدوا"، لكنهم قرّروا أنّ الفعل الماضي مبني، مع أن لآخره -عندهم- ثلاث حالات "ضرب، ضربتُ، ضربوا"، فكيف يكون الفعل الماضي مبنياً؟! إن حالة الفعل الماضي لا تتفق مع البناء حتى في تعريفه اللغوي عند النحاة؛ فالبناء لغةً "وضع شيء على شيء على صفة يُراد بها الثبوت" (٢١)، فمما يخالف الضبط المصطلحي أن نجعل "سيبويه" والفعل الماضي "ضرب" في تصنيف واحد، ونطلقَ عليهما المصطلح نفسه، ومثّل الفعل الماضي في الإشكال حكمهم للفعل الأمر بالبناء، مع أنهم قرّروا أن لآخره ثلاث حالات "قم، اسع، اجتهدوا"، ومن وجهة نظرنا ينبغي أن تكون أواخر الماضي والأمر حالة مستقلة ليست بناءً ولا إعراباً.

#### ت- مشكلة المفاضلة بين اللغات

شاع في عدد من الثقافات القديمة الاعتداد بلغاتها اعتداداً يذهب إلى تفضيلها على غيرها من اللغات، وليست الثقافة العربية استثناء من ذلك، ومما تنأى عنه اللسانيات خشية الوقوع في اللاعلمية المفاضلة بين اللغات، ومما يصادفنا في ذلك أحكام لم تُبنَ على أسس علمية، ومن ذلك "الأحكام المتحيزة"، وأصل ذلك أن نظرة الإنسان عادة إلى لغة معينة أو إلى أسرة لغوية معينة ترتبط بتحيزات دينية أو وطنية أو ثقافية أو اجتماعية، فيعدُّ لغةً أفضل من لغة أو يعدُّ لهجةً أنقى من لهجة، أو لهجةً أجمل من لهجة أو أكثر مقبولة من لهجة، ومن ذلك "الأحكام الانطباعية"؛ إذ من المألوف أن يرتبط التفاضل بين اللغات بأحكام مثل: الجمال والسلاسة والانسجام والعدوبة... إلخ، وتتطلب العلمية والموضوعية رفض كل ما سبق، وفي ذلك يقول فندريس:

(١٩) الرماني، الحدود في النحو: ٣٦.

(٢٠) ابن هشام، شرح قطر الندى: ١٦.

(٢١) الأزهرى، شرح التصريح: ١ / ٥٣.

"تقدير هذه المزايا يرجع إلى حدّ كبيرٍ إلى الذوق الشخصي، ومن ثم يدخل المناقشة عنصرٌ ذاتيٌّ من شأنه أن يزيّفها من أساسها" (٢٢).

ومن مشكلات المفاضلة بين اللغات غياب المعيار للاستناد عليه في المفاضلة، ويُبيّن ذلك أن اللساني الفرنسي إنطوان ميه رأى أن تنازل اللغات الأوربية عن المثنى والاكتفاء بالمفرد والجمع يمثل تطورا حضاريا، ورأى أيضا أن التنازل عن العلامات التي تعيّن الحالة الإعرابية للكلمات تحسّن حضاري، وقد نقل ديكسون في كتابه "هل بعض اللغات أفضل من بعض؟" ذنك الرأيين واستغربهما (٢٣)، ونحن نتفق معه؛ إذ لا أساس علميّا لما قاله ميه، ولكن ديكسون نفسه تناول المقارنة بين اللغات التي تجعل رابطا للجملّة الاسمية (فعل الكينونة) مثل الإنجليزية "He is tall" واللغات التي لا تجعل رابطا للجملّة الاسمية، مثل العربية "هو طويل"، ومال إلى الصورة الأولى قائلا: "فمن المفيد بشكل واضح أن يكون في اللغة رابط، بدلا من الاعتماد على تركيبات جمل تخلو من الأفعال وحسب" (٢٤)، ونحن لا نتفق معه في ميله، ولا نرى فيما قاله استنادا إلى معيار علمي، ومن المفيد أن نخلص في كثير من الأحيان إلى ما قاله كريستل: "في اللغات لا توجد لغة أفضل أو أسوأ من الأخرى، وإنما توجد لغات مختلفة فحسب" (٢٥)، أو إلى ما قاله ديكسون نفسه: "لكل لغة عبقريتها الخاصة" (٢٦).

وفي سياق المفاضلة اللغوية تظهر مصطلحات مثل "لغة متطورة" و"لغة معقدة" و"لغة بدائية"، وتتطلب الموضوعية أن نعطي تلك المصطلحات تعريفا واضحا أو أن تُرفض بالكلية (٢٧)، ولا تذهب اللسانيات إلى وصف لغات بالبدائية ولغات أخر بالمتحضرة، لأن في كل لغة إنسانية مقدارا من التعقيد، بل قد يوجد في لغات الشعوب التي تُوصف بأنها "بدائية" مظاهر لغوية معقدة غير موجودة في لغات الشعوب التي نسميها "متحضرة"، ومن أمثلة ذلك

(٢٢) فنديرس، اللغة: ٤٢٢.

(٢٣) يُنظر: ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟: ١٨٣-١٨٤.

(٢٤) ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟: ٩٨.

(٢٥) كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٥٧.

(٢٦) ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟: ٣٠٣.

(٢٧) يُنظر: لويوز، اللغة واللغويات: ٥٧.

ما أطلق عليه اللسانيون البرهانية Evidentiality في لغة قبيلة الماتسيس التي تعيش على أحد روافد نهر الأمازون، فعند الإخبار عن معلومة تلزمهم لغتهم ذكر الكيفية التي توصل المتكلم بها إلى معرفة تلك المعلومة ليخبر بها مثل أكثر المحامين دقة عندنا، فهناك صيغة فعلية للتعبير عن التجربة المباشرة (إذا رأيت شخصا مازًا من هنا بعينك)، وصيغة فعلية لما يُستنتج من الأدلة (إذا رأيت أقدام شخص على الرمال)، وصيغة فعلية لما يُحْدَس (إذا كان شخص يمرّ من هنا في هذا الوقت عادة)، وصيغة فعلية لما أُخبر به المتكلم (إذا أخبرك جارك بأن شخصا مرّ من هنا)، وإذا نُقل الخبر بالصيغة البرهانية الخاطئة يُعد المتكلم كاذبا، ويعد نظام الماتسيس من أعرب ما يمكن تصوّره، ولم يجرّ الكشف عما يقارب ذلك دقةً في لغة أخرى<sup>(٢٨)</sup>، ومن أمثلة ذلك أيضا أن اللغات العالمية المعروفة تمتلك نوعا واحدا فقط من الضمير "نحن"، لكن لغة "غوغو يوشير" في أستراليا ولغة "التوك بيسين" في بابواغينيا الجديدة تمتلك نوعين من ضمير المتكلمين "نحن"؛ فالأولى "نحن الشمولية"، وهي تشمل المخاطب في عمومها، والثانية "نحن الاستثنائية"، وهي تستثني المخاطب من عمومها<sup>(٢٩)</sup>، فإذا قلتُ لزيد: "نحن سنسافرُ غدا" مُستعملا "نحن الشمولية"؛ فالمعنى: نحن (معك يا زيد) سنسافرُ غدا، وإذا قلتُ لزيد: "نحن سنسافرُ غدا" مُستعملا "نحن الاستثنائية"؛ فالمعنى: نحن (من دونك يا زيد) سنسافرُ غدا.

وإذا انتقلنا إلى قضية المفاضلة في التراث العربي، فإن تفضيل العربية على غيرها من اللغات كانت فكرة شائعة بين النحويين واللغويين وغيرهم<sup>(٣٠)</sup>، لكن أول مشكلة تواجه ذلك أن التراث اللغوي عند العرب لم يعرف الدراسة المقارنة أو الدراسة التقابلية بالمعنى التخصصي (مقارنة العربية بلغات من عائلتها السامية، ومقابلة العربية بلغات من غير عائلتها السامية). وغياب الدراسات المنهجية من ذلك النوع- الدراسات المنهجية الشاملة للمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي يمنع من إطلاق حكم عام بالأفضلية، وإنما كان الحكم بتفضيل العربية ينبني على ظواهر جزئية لا تمكّن من إطلاق حكم كليّ، وهو ما يدلّ على أن تفضيل

(٢٨) يُنظر: دويتشر، عبر منظار اللغة: ١٧٣ وما بعدها.

(٢٩) يُنظر: جين آتشسن، بذور الكلام: ٢٨٩.

(٣٠) تناولنا هذه القضية في كتاب "مبدأ الانتظامية في النحو العربي".

العربية على غيرها من اللغات لم يكن يُؤسَّس على حقائق لغوية موضوعية، بل على دوافع دينية وقومية، ومن الحق أيضاً أن المقارنة الشاملة لم توجد في البحث اللغوي في مختلف الحضارات قديماً، فإذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إن كل أحكام التفضيل اللغوي القديمة لم تُبنَ على أسس علمية.

ويمكن أن نقف على أمثلة من تفضيل العربية في التراث، فمن ذلك أن ابن فارس (ت. ٣٩٥هـ) عقد في كتابه "الصاحبي" باباً بعنوان "باب القول في أن العربية أفضل اللغات وأوسعها"، وقال فيه: "... وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذاك؟! وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟! هذا ما لا يخفاء به على ذي نية" (٣١). نجد في النص السابق أمرين؛ أولاً: يُحكّم في العنوان للعربية بأنها أفضل اللغات وأوسعها، ولكن في البرهنة على ذلك لا يُقارن إلا بين العربية ولغة واحدة: الفارسية، فكيف كانت العربية أفضل من اللغات الأخرى؟! ثانياً: يُحكّم بتفضيل العربية على الفارسية لسعتها عليها، ويذكر لذلك سعة الترادف في العربية، ولا يذكر لذلك إلا ثلاث كلمات (السيف، الأسد، الفرس)، وليس هناك تناول شامل لظاهرة الترادف بين العربية والفارسية، وفوق هذا لا يمثل الترادف إلا ظاهرة واحدة تتصل بالمستوى الدلالي، وليس ثمة مقارنة شاملة بين المعجم العربي والمعجم الفارسي، فضلاً عما تبقى من مقارنة في الصوت والصرف والنحو ليُحكّم بالإطلاق بتفضيل العربية.

ومثال آخر نقف عليه عند الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ). قال في سياق كلامه على البديع: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان" (٣٢)، و"البديع" في كلام الجاحظ هنا المعاني المبتكرة (٣٣)، والإشكال الأول أنه لا يُسلّم باتخاذ "ابتكار

(٣١) ابن فارس، الصاحبي: ١٩.

(٣٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ٤/٥٥-٥٦.

(٣٣) يُعرف ذلك من الأبيات الشعرية التي ذكرها بعد قوله ذلك.

المعاني" معيارا للمفاضلة بين اللغات، وإهمال السمات اللغوية الأخرى في الصوت والصرف والتركيب والدلالة، والإشكال الثاني أنه لا يُسَلَّم بتفرد العربية عن اللغات الأخرى بابتكار المعاني، بل ذلك دأب الأدباء والشعراء في كل لغة إنسانية.

### ث- مشكلة الخلط بين الخطاب العلمي والخطابات الأخرى

من مقتضيات العلمية التي تسعى إليها اللسانيات ضرورة بناء خطاب علمي، أي خطاب يستند إلى أسس علمية، وذلك يوجب التفريق بين الخطاب العلمي العام وغيره من الخطابات الخاصة، مثل المعتقدات الشعبية أو العقائد الدينية، وفي كثير من الديانات يُذكر أن اللغة الإنسانية كان مصدرها إلهيا، ومن أمثله أنه يُعتقد في التراث الهندي أن اللغة مصدرها من الإله ساراسفاتي؛ زوجة براهما (الذات العليا) خالق الكون<sup>(٣٤)</sup>، ومن أمثله أيضا ما جاء في سفر التكوين من أن البشر جميعا كانوا يتكلمون لغة واحدة هي العبرية، وأنهم تجمعوا لبناء مدينة بابل وبرز مرتفع يصل إلى السماء، فـ"بَلْبَلَّ" الله لغة العُمَل حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض فكفوا عن البناء، وهكذا تفرّعت اللغة إلى اللغات بسبب الإنسان المتكبر الغاشم<sup>(٣٥)</sup>، ومن ذلك أن أقدم المفسرين ذهبوا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/٣٠] إلى أنه علّمه العربية<sup>(٣٦)</sup>، وصرّح بعضهم بأنه علّمه اللغة حتى الصغير الحقير منها، حتى قيل: "علّمه اسم كل شيء حتى الهتة والهئيّة والفسوة والضرطة"، وقيل: "حتى الفسوة والفسية"<sup>(٣٧)</sup>، ومن

(٣٤) يُنظر: يول، معرفة اللغة: ١٤.

(٣٥) يُنظر: باي، لغات البشر: ٤٥، كالفني، حرب اللغات: ٦٢-٦٣.

(٣٦) مثل ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر والحسن البصري وقتادة بن دعامة. يُنظر: الطبري، جامع البيان: ١/٤٢١-٤٢٣، ولم يقتصر هذا الاعتقاد على ظهوره عند المفسرين الأوائل، بل هو شائع عند أئمة اللغة والنحو من بعد، وقد بيّنا ذلك في كتابنا "مبدأ الانتظامية في النحو العربي".

(٣٧) يُنظر: الطبري، جامع البيان: ١/٤٢١-٤٢٣. وقد جوّز ابن جني أن يكون معنى الآية أنه أقدره على تعلّم الأسماء، أي أعطاه ملكة يتعلّم بها الأسماء، ينظر: ابن جني، الخصائص: ١/٤٠-٤١.

جنس ذلك اعتقاد المصريين القدماء أن الكتابة منحة إلهية لبني الإنسان من إله الحكمة توت (٣٨)، واعتقاد العبريين أن موسى تلقى الكتابة من الإله (٣٩).

## ٢- التفريق بين المنطوق والمكتوب (بين الصوت والحرف)

إن المظهر الأوّليّ للغة وجودها في صورة منطوقة. يدلّ على ذلك وجود اللغة المنطوقة في أحوال من دون كتابة، مثل لغة الطفل الذي لمّا يتعلّم الكتابة، ولغة الأمميّ، ولغة كثير من الشعوب البدائية التي لا تعرف أنظمة كتابية أصلاً، ومن المعلوم أن المنطوق أسبق وجوداً في تاريخ الإنسان، فأقدم كتابة إنسانية وُجدت كانت قبل خمسة آلاف سنة تقريباً، لكن "الإنسان العاقل" - في تقديرات علمية - كان موجوداً طوال مئة ألف سنة في الأقل (٤٠).

إن الكتابة نظام ينقل اللغة من حالة إلى حالة؛ من الصوت المسموع إلى الكتابة المرئية، ولأنهما نظامان مختلفان كان من الضروري وجود فجوة عند اتخاذ المكتوب لنقل المنطوق، ومن الخطأ البين أن نظن أننا نكتب كما نتكلّم، بل لا بد من وجود فجوة بينها تختلف باختلاف الأنظمة الكتابية، ولا يوجد شعب لا يشكو من مشكلة الفجوة بين المنطوق والمكتوب إن قليلاً وإن كثيراً (٤١). وبمعيار مقدار تلك الفجوة، يرى اللساني فندريس أنه لا تعدّ الكتابة الألمانية رديئة، والكتابة الإسبانية جيدة جداً، وكل من الكتابة الإنجليزية والفرنسية رديئة (٤٢).

ومما يدلّ على اختلاف طبيعة النظامين الكتابي والصوتي أن النظام الصوتي المسموع يقع في زمن تتابعي، لكن النظام الكتابي مرئي، ويجب عليه أن يتخذ فيه ذلك التتابع جهة من الجهات، فالإنجليزية وكثير من لغات العالم تُكتب من اليسار إلى اليمين، والعربية والعبرية والفارسية تُكتب من اليمين إلى اليسار، واليابانية التقليدية تكتب من الأعلى إلى الأسفل، وليس في أيّ من تلك اللغات خصوصية تجعلها تستعمل اتجاهها معيناً للكتابة، ولكن اتجاه الكتابة شيء إضافي

(٣٨) يُنظر: باي، لغات البشر: ١١٣.

(٣٩) يُنظر: فندريس، اللغة: ٤٠٣.

(٤٠) يُنظر: ديكسون، هل بعض اللغات أفضل من بعض؟: ٣٠.

(٤١) يُنظر: فندريس، اللغة: ٤٠٥.

(٤٢) يُنظر: فندريس، اللغة: ٤٠٩.

تفرضه طبيعة الكتابة المرئية، ومن كل ذلك نعرف أن النظام الكتابي يختلف كُنْهًا عن النظام الصوتي، وحين يُتخذ الأول للتعبير عن الثاني يتحتم وجود مقدار من اللاتطابق بينهما، ومن أجل ذلك ليست الكتابة أمينة دائمًا في تقديم الصورة المنطوقة على حقيقتها، بل ربما كانت خادعة ومُضَلَّلة.

ومما يدلّ على اختلاف النظامين الصوتي والكتابي أيضا أن الأنظمة الكتابية عامة تضع فراغات بين الكلمات، لكن الكلام في صورته الطبيعية لا يتطابق غالبا مع تلك الفراغات؛ إذ تتصل نهايات الكلمات ببداية الكلمات التالية لها في كثير من الحالات؛ فالبسمة تكتب بأربع كلمات بينها ثلاثة فراغات "بسم الله الرحمن الرحيم"، ويبيّن التحليل المقطعي اتصال أطراف الكلمات واختفاء الفراغات الثلاثة عند النطق الفعلي "بِسْ، مِلْ، لَ، هِرْ، رَحْ، مَ، نِرْ، رَ، حِمِمْ"، ومعنى ذلك أن الفراغات التي تُعد جزءا ضروريا من النظام الكتابي غرضها الأساس يتعلّق بخدمة الكتابة، ومنها تسهيل القراءة، لكنها ليست موجودة في الكلام الفعلي على ذلك النحو، ومن ذلك أن نظام الكتابة العربي يفرّق بين طريقة كتابة حروف الجر الواقعة على حرف واحد "بِ، لَ، كَ" وحروف الجرّ الواقعة على أكثر من حرف "من، إلى، عن، على"، فتُكتب الأولى متصلة بما يليها وتكتب الثانية مستقلة، والطريقتان وضعتا لاعتبار كتابي، ولا حضور لذلك الاعتبار في الكلام المنطوق.

وليس معنى ما سبق أن النظام الكتابي خارج بالكلية عن اهتمام اللساني، بل إن كثيرا من اللسانيين تناولوا في مؤلفات اللسانيات التمهيدية التعريف بالأنظمة الكتابية عند الإنسان وتطوّرها من الكتابة الصورية إلى الكتابة المقطعية إلى الكتابة الألفبائية، والميزات والعيوب لكل نظام منها<sup>(٤٣)</sup>، وتذكر اللسانية حين آتسسن دور اللساني في هذا السياق، فتقول: "يجب أن يُجَلَّلًا تحليلا منفصلا، فنبداً بالمنطوق، ونثني بالمشكوب"<sup>(٤٤)</sup>، ومن وجهة نظر اللساني ماريو باي أن اللساني يهتم أولا بالمنطوق، فهو أهم وسائل الاتصال الإنساني وأوسعها انتشارا، وثانيا بالغة المكتوبة، وأخيرا -بدرجة أقل- بنظم الاتصال الأخر التي تنقل المعنى من إنسان لآخر، فمنها

(٤٣) يُنظر مثلا: يول، معرفة اللغة: ٢١-٣٠، باي، أسس علم اللغة: ٦٠-٦٢.

(٤٤) آتسسن، السانيات: ٣٧.

الإيماءات، وتعبيرات الوجه، ودقات الطبول الخاصة في أدغال أفريقيا، وإطلاق الدخان بطريقة معينة بين الهنود الحمر<sup>(٤٥)</sup>. جماع الأمر أن اللساني يهتم بالمستوى المنطوق ثم المكتوب، ولكن بوعي تام ومن دون حدوث التداخل المفاهيمي والمصطلحي بينهما.

وإذا نظرنا في النظامين ثباتا وتغيرا، نجد أن المستوى الصوتي للغة يتسم بالتغيير والحركية، والمستوى الكتابي للغة يتسم بالثبوت والجمود، ويُشبه أحد اللسانين العلاقة بين المكتوب الميال إلى الثبات والمنطوق الميال إلى التغير بالعلاقة بين الجليد والماء في النهر، فالجليد يستعير مادته من ماء النهر، ولكن خصائصه غير مطابقة لماء النهر، وهكذا يظل الجليد ساكنا في الأعلى، ويستمر ماء النهر في الجريان من تحته<sup>(٤٦)</sup>، ويمكن أن نقارب تمثيلا لذلك في العربية بصوتي الضاد والطاء، فنحن في النظام الكتابي مستمرّون على التفريق بينهما، مع أن معظم الناطقين بالعربية المعاصرة ينطقون بالاثنين صوتا واحدا: الطاء؛ فالمكتوب ثابت مع تغير المنطوق.

ومما يدلّ على خصوصية النظام الكتابي واختلافه ظاهرة "الزيادة الكتابية"، فعلى الرغم من أن المستوى المنطوق هو الممثل الأول في اللغة، قد ينفرد المستوى المكتوب بعلاقات دالة لا توجد في المنطوق، وذلك على حدّ المقولة: "يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر"، ومثاله أن ضمير المذكر والمؤنث في الصينية سواء في النطق، ولكنها متباينان في الكتابة؛ إذ يحوي الأول علامة للتذكير، ويحوي الثاني علامة للتأنيث، ومثاله في الفرنسية أنه لا فرق في النطق عند تصريف بعض أصناف الفعل في الماضي المستمر والماضي البسيط، لكن اللغة المكتوبة تميز بعض الصيغ عن بعض مع بعض الضمائر<sup>(٤٧)</sup>، ومثاله في العربية أنك حينما تسمع كلمة "يجي" منعزلة عن السياق لا تعرف هل المراد الاسم أو الفعل، ولكنك عند الكتابة تستطيع تمييز ذلك، فالفعل يُكتب "يجيا" بالألف المدودة والاسم يُكتب "يجي" بالألف المطوية، والأمر مماثل في "علا" الفعلية و"على" الحرفية، فهما عند العزل عن السياق سواء في النطق، لكن الكتابة تميّز

(٤٥) يُنظر: أسس علم اللغة، باي: ٣٥، ٤٠.

(٤٦) يُنظر: فندريس، اللغة: ٣٤٣.

(٤٧) يُنظر: مدخل الفهم للسانيات، روبر مارتن: ١٢٠.

بينهما<sup>(٤٨)</sup>، ومثاله في العربية أيضا "الألف الفارقة"، إذ تفرض الكتابة العربية وضع ألف بعد واو الجماعة المتصلة بالفعل في مثل "الزيدون لم يدعوا" لتمييزها من الواو التي هي من أصل الفعل في مثل "زيد يدعو"، مع أن الألف الفارقة غير منطوقة وأن نطق "يدعو" في المثالين واحد.

ومن المهم أن نعرف أن الأنحاء التقليدية عموما قد وقعت في الخلط بين المنطوق والمكتوب، وثمة صور لذلك الخلط في النحو التقليدي عند العرب على مستويين: المصطلح والتحليل، فمن الخلط في المصطلح أنهم استعملوا مصطلح "مخارج الحروف" للكلام على مواضع تشكّل الصوت في الجهاز النطقي للإنسان، والصواب "مخارج الأصوات"، ومن الخلط في التحليل أنهم ذهبوا إلى أن الفعل المضارع "يسع" في مثل "لم يسع" مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة<sup>(٤٩)</sup>؛ لأن الحرف حُذف على مستوى الكتابة، غير أن التحليل المقطعي يدلنا على أن الصائت لم يحذف، فـ"يسعى" المرفوعة تكتب مقطوعا "يَسْ/عَ" و"يسع" المجزومة تكتب مقطوعا "يَسْ/عَ"، فالصائت في المقطع الأخير لم يُحذف بل قَصُر؛ فالأدق أن توصف "يسع" بأنها مجزومة وعلامة جزمها تقصير الصائت الطويل. ومن أمثله أيضا أنهم حكموا أن أداة التعريف في العربية هي "ال"<sup>(٥٠)</sup> مع أننا في الحقيقة لا نطق بـ"ال" في أنواع من الكلمات، مثل "الدرس"، "السراب"، "الشارع"... إلخ، وسبب الوقوع في هذا أنهم نظروا إلى المكتوب، فوجدوه "ال" دائما. أما النظرة اللسانية فتعالج ذلك بالقول: إن أداة التعريف في العربية على صورتين: أولها "ال"، مثل "المدرسة"، ثانيها "ا" + تشديد الصوت التالي لها، مثل "الدفتر".

(٤٨) قد يدعى باحثون معاصرون أن مما يميز بين "يحيى" الاسمية و"يحيا" الفعلية النبر على المقاطع المختلفة، ومثله "علا" و"على"، ولا نعرف ذلك منقولا عن علماء العربية، وإذا كان يُدعى وجوده في العربية المعاصرة، فينبغي أن يُبرهن بالتحليل الصوتي العملي.

(٤٩) نستعمل هنا المصطلح التقليدي، والصواب "صوت العلة".

(٥٠) تنصّ مؤلفات الإملاء على كتابة "ال" إذا أفردت همزة القطع، أي "أل"، ولا نرى مثل ذلك لأن المقصود بها لفظها، وكتابتها كذلك أقرب إلى قصد اللفظ. أما نطقها بهمزة القطع فلا يوجب كتابتها بها، فذلك هو شأن كثير من الكلمات في العربية من المصادر وغير المصادر.

ومن التعبيرات التي صيغت بتأثير النظام الكتابي في النحو العربي وصفهم للصوائت القصيرة (الحركات) بأنها فوق الحرف (في الفتحة والضمة) أو تحت الحرف (في الكسرة)، سواء أكان الصائت القصير من بنية الكلمة أم كان صائت إعراب، ففي مثل "يَجْرُجُ"، يُقال: "الفتحة على الياء"، أو يُقال: "فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة على آخره"، ومن الحق أنه لا يمكن وصف الصوائت القصيرة بالفوقية أو التحتية إلا بالنظر إلى المكتوب، وذلك أمر عائد إلى طبيعة نظام الكتابة العربي، وأن العلاقة بين الأصوات جميعا في النطق التابع، يمكن أن نستبين ذلك في "يَجْرُجُ" إذا استعملنا نظاما آخر لكتابة الكلمة، مثل الألفبائية الصوتية الدولية yaxrudju، أو التحليل المقطعي "ي-خ، ر-، ج-".

### ٣- استقلالية التحليل اللغوي في اللسانيات

يتصف التحليل اللغوي في اللسانيات بالاستقلالية، ومعنى ذلك أنه ينطلق من اللغة ولا يخضع لغير اللغة، وذلك مظهر من مظاهر علمية اللسانيات، ومثال اللااستقلال في الدرس اللغوي في الغرب ما سلّمت به جمهرة الكتب التقليدية، وهو أن اللاتينية تزوّد بإطار عام يصلح لدراسة اللغات الأخرى، وقد نتج عن ذلك تشويش كبير في دراسة لغات أخرى، ومن ذلك الإنجليزية التي فرضت عليها قوالب اللاتينية رغم اختلافها عنها<sup>(٥١)</sup>، ووقع الخطأ أيضا عندما بدأ الأوروبيون بدراسة لغات المحليين من سكان أمريكا الشمالية (القارة المكتشفة حديثا آنذاك)، وقد أخفقت المحاولات الأولى. ذلك أنهم فرضوا عليها قوالب اللغات الأوربية المعروفة، فكان ما يخالف النمط الأوربي؛ إما أن يهمل، وإما أن يطوّع ليتطابق مع النمط الأوربي<sup>(٥٢)</sup>، ولم تبدأ تلك الدراسات بقطف ثمارها إلا حينما درسوا اللغات المحلية بأمريكا من غير فرض أي قالب آخر عليها، أي حينما تعاملوا معها باستقلالية، وكان ذلك على يد اللساني الأمريكي فرانز بواز.

(٥١) يُنظر: كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٤٦-٥٠، آتشسن، اللسانيات: ٣٨.

(٥٢) يُنظر مثلا: دويتشر، عبر منظار اللغة: ١٥٥، إفيش، اتجاهات البحث اللساني: ٢٧٣.

والأمر يختلف في سياق الدرس اللغوي عند العرب قديماً، فلم يكن ثمة -على الراجح- مؤثرات من لغة أخرى فُرضت على العربية<sup>(٥٣)</sup>، ولكن كان ثمة إيديولوجيا خارج-لغوية وجّهت الدرس اللغوي ومنعته من استقلاله، وهي "نزعة التمجيد اللغوي" التي شكّلتها عوامل عدّة، وأهمّها القول بالأصل الإلهامي للعربية وأنها من عند الله، وقد صدر عن ذلك مقولة تفضيل العربية على جميع اللغات، وأنها منتظمة مطردة وليست حشواً مكيبلاً وحشواً مهيبلاً ولا متعادية الأوصاف<sup>(٥٤)</sup>، وفي ذلك السياق سعى النحاة إلى إبراز اللغة في صورة منتظمة وإلى تحاشي الاعتراف بما يخالف القاعدة (الشذوذ)، فلجأ النحاة إلى استعمال آلية "التأويل"، وهو ادّعاء أن التركيب على غير ظاهره، وأن له أصلاً آخر، وغرض ذلك عدم الاعتراف بما يأتي مخالفاً للشائع المطرد أو ما أسماه "الأصول النحوية".

فمن أمثلة التأويل الاسم المرفوع بعد "مذ" و"منذ". بيان ذلك أن العرب تقول: "ما رأيته مذ يومين/ منذ يومين"، وليس في هذا ما يُشكل على قواعد النحاة، وتقول أيضاً: "ما رأيته مذ يومان/ منذ يومان"، وهنا لجأ النحاة إلى تأويل التركيب، فجعل نحاةً أصل التركيب "مذ / منذ مضى يومان"، فصيّروا "يومان" فاعلاً لفعل محذوف، وجعله نحاةً "منذ الزمن الذي هو يومان"، فصيّروا "يومان" خبراً لمبتدأ محذوف<sup>(٥٥)</sup>، وقد وقع ذلك من الفريقين هنا لثلاثي يعترفوا بالخارج عن القاعدة (الشاذ)، ولثلاثي يقرّوا بأن المضاف إليه يقع مرفوعاً في حالة استثنائية وحيدة. ومن أمثلة التأويل أن التركيب الندائي "يا زيد" أوّل بـ "أدعو زيدا" وأعادوه إلى الجملة الفعلية، لأن من أصولهم أن الجملة يجب أن تكون ذات إسناد فعلي أو إسناد اسمي، وهكذا

(٥٣) يرى باحثون معاصرون أن من مشكلات النحو العربي تأثره بفلسفة اليونان وما فيها من تصورات مرتبطة باللغة اليونانية، والراجح أن النحو العربي لم يتأثر بالعلوم الأجنبية في مرحلة النشأة الأولى، وإنما تأثر بها في مرحلة لاحقة، وأن تلك المؤثرات لم تؤسس منهجاً جديداً، وإنما كانت آلة مساعدة لتعميق الأسس التي وضعها النحويون القدماء، فهو تأثير على مستوى عرض النحو بالتعريفات وبإظهار العلاقات الهرمية بين الأقسام النحوية، لا تأثير على عمق النظرية وأسسها، يُنظر: بوهاس ورفيقاه، التراث اللغوي العربي: ٣٩-٤٠.

(٥٤) يُنظر: ابن جني، الخصائص: ٢٤٥/١.

(٥٥) يُنظر: الأنباري، الإنصاف: ٣٨٢/١، وابن هشام، مغني اللبيب: ٣٣٥/١.

أصبحت جملة "يا زيد" وجملة "أكتب كتاباً" من نمط واحد (جملة فعلية ذات فعل متعدّ) على الرغم من الاختلاف البنيوي بينهما.

ومن ذلك أيضاً ما ورد من النعت المقطوع، فقد جاء في لغة العرب -في الشعر غالباً- مثل "جاء زيدٌ الكريمُ"، فجعلوا "الكريمُ" مفعولاً به لفعل محذوف على تأويل "أعني الكريمُ"، ومثل "رأيتُ زيداً الكريمُ"، فجعلوا "الكريمُ" خبراً لمبتدأ محذوف على تأويل "هو الكريمُ"، وكل ذلك ليجعلوا قاعدة "وجوب اتباع الصفة للموصوف في الإعراب" مطّردة، ولئلا يسلموا بانخراطها في "النعت المقطوع".

من المهم أن نعرف أن كلّ تأويل من ذلك النوع كان غرضه عدم الاعتراف بظاهر التركيب لمخالفته للأصول التي وضعوها، وكان خلف ذلك "نزعة التمجيد اللغوي" الساعية إلى إظهار العربية في صورة أصول مطردة، وكلّ محاولة لوصف اللغة تحاول إظهار اللغة في صورة الاطراد تُخلِّص لأفكار خارجة عن اللغة أكثر مما تُخلِّص لحقيقة اللغة نفسها.

وربما وقعت الاستقلالية في التحليل اللغوي عند العرب بطريقة عكسية، وذلك بفرض نتائج مأخوذة من العربية على لغات أخرى، وإن كان مثل هذا نادراً، ومثاله افتراض أن الكلام في اللغات كلها ينقسم إلى: اسم وفعل وحرف، وأقدم من وقع في هذا التعميم -فيها وقفنا- المبرد (ت. ٢٨٦هـ)، فقد ذكر في مُفتّح كلامه على "أقسام الكلام في العربية" قائلاً: "فالكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يخلو الكلام عربياً كان أو أعجمياً من هذه الثلاثة" (٥٦)، ثم ذكر نحاة متأخرون بعده لذلك التقسيم الثلاثي حُججاً عقلية تصوّروها تسري على جميع اللغات (٥٧)، لكنها منهجية غير صحيحة، إذ تنبني على "منطقة" اللغة، لا على طبيعة اللغة والضوابط الشكلية أو الضوابط الوظيفية لتلك الأقسام.

#### ٤- اللسانيات دراسة وصفية لا معيارية

تدرس اللسانيات اللغة بغرض وصفها والوقوف على قوانينها، ولا تُعنى اللسانيات بـ"المعيرة"، أي وضع قواعد معيارية لتمييز الصحيح والسقيم من الكلام، أو الجيد والرديء،

(٥٦) المبرد، المقتضب: ٣/١.

(٥٧) ومن ذلك مثلاً قول المرادي: "ودليل الحصر أن الكلمة إن لم تكن ركناً للإسناد، فهي الحرف، وإن كانت ركناً له، فإن قبلته بطرفيه، فهي الاسم، وإلا فهي الفعل"، المرادي، توضيح المقاصد: ٢٧١/١.

فاللسانيات علمٌ يدرس "ما يُقال"، لا "ما يجب أن يُقال"، ومعنى ذلك أنها تُعنى بوصف ما هو موجود في اللغة بالفعل، وعالم اللسانيات يلحظ ويسجل، ولا يقيم، ومن أجل ذلك لا تُعنى اللسانيات بفكرة "الصواب اللغوي" ولا تحديد "المستوى الصوابي"، ومن ذلك أيضاً أنها لا تتبنى مقولة "قل ولا تقل".

إن ما نسمعه من بعض اللغويين من وصف تركيب بأنه فصيح وتركيب آخر بأنه أفصح، أو وصف تركيب بأنه قبيح أو ضعيف هو من آثار التفكير اللغوي المعياري، وله نظائر في ثقافات أخرى، ففي الثقافة الفرنسية أيضاً يستعملون تعبيرات مثل: "صحة التعبير" و"أناقة التعبير" و"الافتداء بالفحول من الكتاب" و"الأسلوب الذي أقره المجمع العلمي" (٥٨)، ومثله أنه يُقال في الثقافة الإنجليزية: "حافظوا على اللسان الذي تكلم به شكسبير" (٥٩). إن جميع ما تقدم يصدّر عن فكر معياري، لا فكر وصفي.

إن التزام الوصفية وتجنّب المعيارية وجه آخر من أوجه استقلالية البحث اللغوي أيضاً، لأن المعيار فكرة تفرضها على اللغة، وإذا افترضنا أنه يمكن لنا فرض المعيار على اللغة، فما طبيعة ذلك المعيار؟ ومن المفوض في وضعه؟ وإذا شئنا أن نفهم هذا الإشكال في السياق العربي المعاصر، فإن المجامع العربية أعلى السلطات اللغوية، ولدينا بضعة عشر مجمعا لغويا ومؤسسة مناظرة في عواصم عربية مختلفة، وإن كانت لا تتساوى نشاطاً في مواجهة النوازل اللغوية المعاصرة، والمهم أن الخلاف حاصل بين تلك المجامع، على الرغم من طابعها المرجعي، في قبول الأساليب المعاصرة وتجديد النحو وقضايا أخرى، وأنها تتفاوت في ميلها بين القبول بالمحدث والتمسك بالقديم.

ولا تنافي الوصفية استعمالاً أو صاف الكثرة والقلة والندرة في وصف بعض التركيبات، أو أن تذكر أن تركيباً معيناً خاصاً بفئة من المتكلمين ينتمون إلى بقعة جغرافية معينة أو مهنة معينة أو عرقية معينة أو فئة عمرية معينة... إلخ، ولكن ذلك يقع من دون إطلاق أحكام القيمة على شيء من ذلك.

(٥٨) يُنظر: إيلوار، مدخل إلى اللسانيات: ٣٧.

(٥٩) كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٦٥.

إن اللسانيات تدرس اللغة بوصفها نظاما للتواصل الإنساني، ومن هنا لا تذهب اللسانيات إلى تفضيل اللغة الرسمية (أو الفصحى) على اللهجات، ولا تنظر إلى اللهجات على أنها منحطة أو صورة فاسدة من الكلام الرسمي، فاللهجات على اختلافها وتعددها لا تقل أهمية عن غيرها؛ لأنها أنظمة تواصل إنسانية، وكل ذلك صالح للدراسة، ومن الخطأ أن ننظر إلى اللهجات على أنها مستوى عشوائي من الكلام لا ينتظم في قوانين صوتية أو نحوية، بل قد نجد في اللهجات ما لا يوجد في الرسمية؛ كما نجد في الرسمية ما لا يوجد في اللهجات (٦٠).

وقد زهد اللسانيون في أوروبا قديما في دراسة لغات الشعوب الأمية التي لا تمتلك أعمالا أدبية عظيمة أو فكريا، ولكن حينما درس اللسانيون لغات السكان المحليين في أمريكا الشمالية، وقفوا على ظواهر لغوية جديدة قدّمت للباحثين نماذج مذهلة من إمكانات التنوع في اللغات الإنسانية، إلى درجة أن نتائج تلك الدراسات قوبلت بالتشكيك في أوائل ظهورها (٦١).

ومن اللغات التي نُظِر لها بدونية ووصفت بأنها لغات غير تامة: اللغات المبسطة، واللغة المبسطة pidgin language لغة تنشأ غالبا بين مجموعتين أو أكثر ليس بينها لغة مشتركة وهم حاجة في التواصل، وتُعدّ اللغة المبسطة وسيلة ميسرة للتواصل اللغوي، وتتسم بنحو مبسّط ومفردات محدودة (٦٢)، ثم تبدأ بالتطور والتعقيد حتى تصل إلى ما يماثل اللغات الأخرى،

(٦٠) وما يوجد في لهجات عربية معاصرة ولا يوجد في العربية الرسمية الصُرْفَةُ المحيطة circumfix morpheme (الصُرْفَةُ هي أصغر وحدة صوتية دالة على معنى، وهي وحدة التحليل الصرفي)، والصرفة المحيطة ما يجمع بين سبق الكلمة ولحاقها، وذلك في كثير من اللهجات اليمنية واللهجة القاهرية "ما جاش"، "ما أكّش"، فمورفيم النفي هنا "ما + ش"، ومن ذلك أيضا "النفي المزدوج". وسيأتي الحديث عنه في "٥- اللسانيات وإدراك الطبيعة الاجتماعية للغة".

(٦١) يُنظر: سامسون، مدارس اللسانيات: ٥٤.

(٦٢) من اللغات المبسطة "العربية المبسطة" في دول الخليج العربي، وقد نشأت في سياق التعامل بين السكان الأصليين والوافدين من العمال من شبه القارة الهندية وما حوّلها غالبا، لكن تلك اللغة لم تتحول إلى طور "لغة هجينة"، ومصطلحا pidgin language و creole language يترجمها عدد من الباحثين - بالتوالي - لغة هجينة ولغة مولدة، يُنظر مثلا: السوسوسة، اللغة الهجين في السعودية، فقد اختار تلك الثنائية، وأورد في "الدراسات السابقة" عددا من العناوانات التي اختارت ذلك أيضا، وما اخترته -فيما أرى- أنسب؛ لأن الطور الأول من سماته البساطة، ولأن الطور الثاني يتميز بالتهجين، ومصطلح "مولد" لا يناسبه، وقد استعمل هذا المصطلح في التراثي العربي للدلالة على المقترض في العربية من لغات أخرى،

=

ويحصل ذلك حينما ينشأ أطفال تكون تلك اللغة المبسطة لهم لغةً أمًّا<sup>(٦٣)</sup>، وتُسمّى حينئذ لغة هجينة creole language. ولم يُبحث في اللغات المبسطة بوصفها أنظمة لغوية قائمة بنفسها إلا في الآونة الأخيرة<sup>(٦٤)</sup>، بل إن اللغات المبسطة والهجينة - من وجهة نظر لسانيين اليوم - مجال واحد من ضمن مجالات أخر قادر على أن يمدّنا بما يفيد في حلّ لغز نشوء لغة الإنسان وأصلها الأول<sup>(٦٥)</sup>. هذا وقد كانت الجمعية اللغوية بباريس أصدرت عام ١٨٦٦ قرارا بأنها لن تقبل مقالة في أصل اللغة، وذلك لكثرة الحديث عن هذه القضية آنذاك من دون أدلة علمية كافية.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن "المعيارية في النحو العربي"، فأهم مظاهرها وجهاً بينها تلازم: الردّ من المسموع وإطلاق الأحكام المعيارية، ولا يمكن للسانيات أن تردّ من المسموع شيئاً، ولا أن تطلق أحكاماً معيارية أو أحكاماً قيمة، فأما الوجه الأول فيبيّن أن النحاة قد يردّون مما سُمع من أصحاب اللغة بحجّة أنه مخالف للأصول (الشائع المطرد)، ومما لا يخفى أنهم رفضوا من مصادر الاستشهاد الأساسية: الشعر، القراءات، الكلام المتداول؛ ففي الشعر وقعت أمثلة كثيرة لوقوع جواب الشرط من دون "فاء" فيما أوجبوا فيه ذكر "الفاء"، مثل قول حسان بن ثابت: "مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ، اللَّهُ يُشْكِرُهَا"، ولم يقل: "فَاللَّهُ"، وقول الشاعر: "بني نُعَلٍ مَنْ يَنْكَحِ الْعَتْرَ ظَالِمٌ"، ولم يقل: "فَظَالِمٌ"<sup>(٦٦)</sup>. وردّوا غير ذلك من الشواهد الشعرية، وظلّ السائد في القاعدة المعيارية وجوب اقتران جواب الشرط بـ"الفاء" في ذلك، وفي القراءات ردّوا قراءة الحسن البصري وقرأ بها أيضاً ابن السّميفع اليماني والأعمش: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ﴾

والواقع أن الطور الثاني هنا دمج واسع للّغتين، لا اقتران ألفاظ، واختياري لترجمة تلك الثنائية يكاد يكون مطابقاً لاختيار ريم بسيوني "المبسّطة، المهجّنة" يُنظر: بسيوني، علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي: ٦، وأقرب إلى اختيار كريشات مترجم كتاب "بذور الكلام" لآتشسن "المبسّطة الوسيطة، الهجينة"، والإحالة عليه في الهامش الآتي.

(٦٣) يُنظر: جين آتشسن، بذور الكلام: ٢١.

(٦٤) يُنظر: جون لويوز، اللغة واللغويات: ٢٦٠.

(٦٥) يُنظر: جين آتشسن، بذور الكلام: ١٩-٢٢.

(٦٦) يُنظر: سبيويه، الكتاب: ٣/ ٦٤-٦٥.

[الشعراء/ ٢١٠] بالواو<sup>(٦٧)</sup>، "قال أبو حاتم: هي غلطٌ منه أو عليه. وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين"<sup>(٦٨)</sup>، وردّوا قراءة حفص عن عاصم ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾ [طه/ ٦٣]، وقد نُقل عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: "إني لأستحي أن أقرأ ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾"<sup>(٦٩)</sup>، وفي الكلام المتداول ردّوا قول أعرابي: "ضربَ مَنْ مَنَّا" بإعراب "مَنْ" الاستفهامية في الموضعين رفعا ونصبا، وقد قال فيه سيبويه: "وهذا بعيد لا تكلم به العرب، ولا يستعمله منهم ناس كثير"<sup>(٧٠)</sup>، ومنه قول سيبويه: "وزعمَ يونسُ أن من العرب مَنْ يقول: إن لا صالحٍ فطالحٍ، على: إن لا أكنُ مررتُ بصالحٍ فبطالحٍ، وهذا قبيح ضعيف"<sup>(٧١)</sup>، وأما الوجه الثاني فإطلاق النحاة للأحكام المعيارية بنوعيتها: أحكام الردّ المعيارية (السلبية)، مثل: "خيث"<sup>(٧٢)</sup>، "ضعيف"<sup>(٧٣)</sup>، "رديء"<sup>(٧٤)</sup>، "قبيح"<sup>(٧٥)</sup>، وأحكام القبول المعيارية (الإيجابية)، مثل: "جيد"<sup>(٧٦)</sup>، "حسن"<sup>(٧٧)</sup>، "قوي"<sup>(٧٨)</sup>، "أقوى"<sup>(٧٩)</sup>، "أحسن"<sup>(٨٠)</sup>، "أجود"<sup>(٨١)</sup>.

(٦٧) يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط: ١٩٦/٨، الشوكاني، فتح القدير: ١٣٨/٤.

(٦٨) أبو حيان: البحر المحيط: ١٩٦/٨.

(٦٩) يُنظر: الرازي، التفسير الكبير: ٦٥/٢٢.

(٧٠) سيبويه، الكتاب: ٤١١/٢.

(٧١) سيبويه، الكتاب: ٢٦٢/١.

(٧٢) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٣٨٩/١، ١١٤/٢، ٣٣٩/٣.

(٧٣) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٨٦/١، ١٢٠، ١٢٧.

(٧٤) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ١٩٩/١، ٣٧٦/٢، ٥٥٥/٣.

(٧٥) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٨٠/١، ٢٢٧، ٢٦٢.

(٧٦) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٣٤/١، ٨٠، ٢٧٥.

(٧٧) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ١٥٦/١، ٢٣١، ٢٥٩.

(٧٨) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ١٦/٢، ١٣٧/٣، ٤١٦/٤.

(٧٩) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ١٠١/١، ١١٩، ١٣٧.

(٨٠) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٨٤/١، ٨٨، ١٢٤.

(٨١) يُنظر: سيبويه، الكتاب: ٦٢/١، ٧٦، ٨٢.

ومن المصادفات التاريخية أنه كان للمعيارية أثر غير إيجابي في البحث اللغوي عند العرب. ذلك أن زمن الاحتجاج اللغوي وُضع له حدٌ نهاية، والتحديد الشائع عند كثير من المعاصرين أنه ينتهي بمنتصف القرن الثاني الهجري في المدن ومنتصف القرن الرابع في البادية، ونظر إلى العربية بعد ذلك الحدّ الزماني بأنها متغيرة فاقدة نقاءها. هكذا تحدّد دور النحوي في الثقافة العربية في دراسة عربية زمن محدّد. ومنذ ذلك التحديد الزمني إلى قبيل عصر النهضة، انصرف النحاة عن دراسة اللغة الحيّة المستعملة حولهم؛ فلغات تلك العصور -عندهم- انحرف عن الفصحى لا يستحق الدراسة، واقتصرت جهودهم على دراسة لغة فاتتة زمانا. هكذا ظلّت "عربية عصور الاحتجاج" الشغل الشاغل للنحوي العربي على تعاقب القرون، ويصف تمام حسان جهود النحاة العرب المحصورة بتلك الحدود بأنها صارت "نشاطا انطوائيا" (٨٢).

من الحقائق الثابتة أن اللغة تتغير على الدوام بمرور الزمن، وتنطوي المعيارية على عدم الاعتراف بتلك الحقيقة؛ لأنها تحكم بأن كل تغير في اللغة يتّجه إلى الأسوأ، وأن المراحل القديمة من حياة اللغة هي الصورة المثلى (٨٣). من أجل ذلك تنزع المعيارية إلى مقاومة التغير اللغوي، ومن الحق -كما يرى كريستل- أن السلطان لمتكلمي اللغة لا القواعد النحوية القديمة لأن استعمالهم ينبض بالحياة واستعمالها متحجرة، ويرى أن على كتب القواعد النحوية أن تجدد نفسها كلّ مدة إذا أرادت أن تبقى واقعية (٨٤)، ويمكن التمثيل لذلك في سياق الثقافة العربية بأن كثيرا من كتب النحو التعليمي المعاصرة تتناول التعجّب في العربية، فتذكر أن له صيغتين "ما أفعله"، مثل "ما أجمله"، و"أفعل به"، مثل "أجمل به"، والصيغة الثانية تكاد تكون مهجورة في العربية المعاصرة، ومثل ذلك أيضا أن يُذكر في أفعال الشروع (الشروع في الفعل) "أنشأ، طَفِقَ" بمعنى "شَرَعَ"، وأن يُذكر في أفعال الرجاء (رجاء وقوع الخبر) "اخلولق، حرى" بمعنى "عسى"، وأن يُذكر في أفعال المقاربة (قرب وقوع الخبر) "كرب" بمعنى "كاد"، ولا ينبغي أن

(٨٢) يُنظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية: ٢٨.

(٨٣) يُنظر: كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٦٥.

(٨٤) يُنظر: كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٧٢.

تُذكر هذه التركيبات المهجورة إلا إذا كان المقصود منها معرفة العربية التراثية والتواصل مع النصوص القديمة، وهذه مرحلة متأخرة - كما نرى - في تعليم اللغة.

#### ٥ - اللسانيات وإدراك الطبيعة الاجتماعية للغة

تنطلق اللسانيات من إدراك طبيعة اللغة الإنسانية وانتمائها للمجتمع أولاً وأخيراً. إن ذلك الانتفاء يجعلنا نتعامل معها مثل سائر الأنظمة الاجتماعية، فلا نطلب منها أكثر من ذلك، ولا نطمح أن تُشابه الأنظمة المتممة للعلوم الطبيعية وما فيها من انتظام. ولعل أكثر ما كان يقتحم مجال اللغة فيُخضع اللغة لغير طبيعتها الاجتماعية وسلطانها الذاتية - الفكر المنطقي، و"كان من فضل النحو المقارن أن وسّع آفاق الباحثين في اللغة، واتضح شيئا فشيئا عدم سلامة التسوية بين الأبنية اللغوية والنماذج المنطقية" (٨٥)، وقد حرص اللسانيون من بعد على نفي تلك الصلة المتوهمة التي عانى منها البحث اللغوي التقليدي زمنا. ويذكر كريستل في ذلك أن اللغة الإنسانية ليست بناء منطقيا، وأنه من الأفضل فيما يتصل بقضايا اللغة أن لا نذكر كلمة منطق logic (٨٦). ويذكر السعران أن "إقامة الفلسفة اللغوية على أساس منطقي أو عقلي بات أمرا مرفوضا" (٨٧)، وهروبا من الفظاظ التي قد نلّمسها في تعبير من مثل "اللغة غير منطقية" أو قول آخرين إن "اللغة لا تفكر" (٨٨) استحسّن لسانيون عبارة مثل "اللغة لها منطقها الخاص" (٨٩).

ويمكن أن نجد الأثر السلبي لمحاولة "منطقة" اللغة عند المقارنة بين البحث اللغوي عند الهنود وعند الإغريق، فقد استطاع الهنود القدماء أن يتوصلوا إلى تبويب شامل للمفاهيم النحوية ولأجزاء الكلام في وقت مبكر، وما يدعو إلى الدهشة أن الإغريق استغرقوا وقتا طويلا للوصول إلى النتائج نفسها؛ لأن الهنود ركزوا اهتماماتهم على الناحية الشكلية للغة والوظيفة التي تؤديها

(٨٥) مجدوب، المنوال النحوي العربي: ٣٦.

(٨٦) يُنظر: كريستل، التعريف بعلم اللغة: ٥٠، ٥١.

(٨٧) السعران، علم اللغة: ٧٤.

(٨٨) جستس، دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية: ٢٠٧.

(٨٩) يُنظر مثلا: نودوروف و-ديكر، فلسفة اللغة: ٣٢.

أشكال الكلام، وصرّف الإغريق همّهم إلى صوغ قوانين اللغة في قوالب منطقية، ولم يتنبّهوا إلى العلاقة بين شكل اللغة ووظيفتها إلا في وقت متأخر (٩٠).

ومن أمثلة عدم خضوع اللغة للقواعد المنطقية أنه يُقال في المنطق: "نفي النفي إثبات"، لكن في اللغات ما لا يخضع لذلك، ومنه ظاهرة "النفي المزدوج"، ومن تلك اللغات الإنجليزية "I don't got no money"، و"don't have no friends"، ولا نظير لمثل ذلك في العربية المعيارية، لكن ثمة لهجات معاصرة تستعمل النفي المزدوج على الطريقة السابقة، ومن ذلك أنه يُقال في لهجات مصرية: "معنديش ولا مليم" وفي لهجات يمنية: "رحت الجامعة ولا حصلت ولا طالب"، فالمنطق يقول: "نفي النفي إثبات"، ولغات تقول: "النفي بعد النفي تأكيد".

ومما يمكن أن نقف فيه على المنطق الخاص بالعربية أنها سلكت في رفع الإبهام عن العدد طريقة غير مطّردة، فيقال في العربية: "عندي ثلاثة أقلام"، و"عندي عشرون قلمًا"، و"عندي مئة قلم"، فمن الواضح أن ما يقع بعد العدد في الأمثلة الماضية "أقلام، قلمًا، قلم" له وظيفة واحدة: رفع الإبهام عن العدد، ومع ذلك اختارت العربية في النمط الأول "الجمع المجرور"، وفي النمط الثاني "المفرد المنصوب"، وفي النمط الثالث "المفرد المجرور".

والمثال الآخر المطوّل الدال على منطق خاص في العربية تفاصيل التذكير والتأنيث، فمن المعلوم أن العربية تراعي المطابقة، ومن ذلك مطابقة الفعل للفاعل تذكيرا وتأنيثا "جاء زيد / جاءت هند"، لكن الفاعل إذا كان جمع تكسير لمذكّر جاز معه الوجيهان "قال / قالت الأعراب" و"قال / قالت العلماء"، وإذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً مفصلاً بينه وبين الفعل بفاصل جاز معه الوجيهان "حضر / حضرت المجلس امرأة"، ومن ذلك أن صيغة "تفعل" تأتي مشتركة بين المذكر والمخاطب "أنت تقول" والمؤنث الغائب "هند تقول"، وتراعي العربية المطابقة في الصفة، لكن بعض الصفات يستوي فيها التذكير والتأنيث، فمن ذلك "فعليل" بمعنى "مفعول"، يُقال: "رجل جريح" و"امرأة جريح"، ومن ذلك "فعلول" للمبالغة، يُقال: "رجل صبور" و"امرأة صبور"، والصفات الخاصة بالمرأة تأتي خالية من تاء التأنيث وغير مطابقة. يُقال: امرأة حامل،

(٩٠) يُنظر: باي، لغات البشر: ٢٥-٢٦.

حائض، طامث، كاعب، ناهد، عانس، ثيب، عافر، وفي باب العدد من ثلاثة إلى تسعة تُذكر العربية مع المؤنث وتؤنث مع المذكر، فيقال: "تسع نساء"، "تسعة رجال"، ثم نجد أعلاما مذكرة تنتهي بتاء التأنيث، مثل: طلحة وأسامة ومعاوية وحنظلة، وأعلاما مؤنثة خالية من أي علامة تأنيث، مثل: سعاد وهند ودعد. ذلك هو منطق العربية، وعلينا أن نتقبل ذلك على ما هو عليه، فلكل لغة منطقها الخاص، ويحسن بنا أن نُردف ما مضى بقول اللساني فندريس: "كلما توغلنا في تفاصيل الفصائل النحوية للغة من اللغات، زدنا إدراكا لاستحالة إرجاعها إلى نظام منطقي" (٩١).

ومما قد يبدو ذا منطق خاص نظام العدد في الفرنسية، وعلى وجه التحديد الأعداد من ٧٠ إلى ٩٩، فعلى سبيل المثال لم يضعوا للعدد ٧٠ كلمة خاصة، بل ركّبوا لها كلمة مؤلفة من عددين سابقين، فسبعون (بالترجمة الحرفية) = ستون عشرة، وتسعة وسبعون = ستون تسعة عشر، وثمانون = أربع عشرات، وتسعون = أربع عشرات عشرة، وتسعة وتسعون = أربع عشرات تسعة عشر، هذا مع أن العدد سبعة هو sept، ومع وجود كلمة خاصة بالعدد سبع مئة sept cent، وتواجه هذا النظام العددي صعوبات، مثل إملاء رقم هاتف وقراءة الأعداد الكبيرة. وفي سويسرا حيث تُعدّ الألمانية اللغة الأولى وتليها الفرنسية، عالج الناطقون بالفرنسية هذه الظاهرة في العدد، وأوجدوا نظاما خاصا بالأرقام في الفرنسية السويسرية من ٧٠ إلى ٩٩ يطابق المعروف في لغات أخرى، مثل الإنجليزية والعربية وغيرهما.

ويهمنا من جميع ما سبق أن نقول: إن إدراك الطبيعة الاجتماعية للغة ينعكس على التحليل الفعلي لها، فيجعلنا نتقبلها بواقعها كيفما كان، ومن ذلك أن نتقبل الخروج على القاعدة حينما نصادفه، لأن عدم انتظام القاعدة (الشذوذ) جزء طبيعي من اللغات الإنسانية عامة، وليس هناك ما يستدعي إنكاره أو اعتقاد أنه من مظاهر النقص في اللغة، ولنا أن نستحضر هنا حالة اللغات الاصطناعية، وأشهرها "الإسبرانتو"، وقد بدأت فكرة هذه اللغات عندما رأى لسانيون أن اللغات الإنسانية محمّلة بتحيزاتها المختلفة التي اكتسبتها عبر التاريخ، وأن ذلك الوضع يُعيقنا أحيانا من فهم من يتكلمون لغات أخرى. هكذا تولدت فكرة لغة اصطناعية بكر خالية من الماضي

(٩١) فندريس، اللغة: ١٤٧.

وتحيزاته، فوضعوها في صورة متناهية من البساطة والانتظام والبعد عن الشذوذ، غير أن تلك المحاولات قد باءت بالفشل، ومن أسباب إخفاقها أن اللغة الاصطناعية حينما مورست فعليا وبدأت في التفاعل مع الجماعة المتكلمة ظهر فيها أنواع من "التغير اللغوي" عند المتكلمين بها<sup>(٩٢)</sup>، وهذا الوضع من الأدلة على أن اللغة بوصفها نظاما اجتماعيا قابلة للتغير في أي جهة، وليس الشذوذ إلا شيئا من ذلك.

### ٦- اللسانيات وتكامل التحليل بين مستويات اللغة

تتألف اللغة من مستويات (الصوت، الصرف، التركيب، الدلالة، التداول)، وتلك المستويات متشابكة يؤثر بعضها في بعض وتشكل البنية الكلية للغة، وأي تحليل يهمل الارتباط بين تلك المستويات واقع في القصور لا محالة، ولذلك تدرس اللسانيات اللغة بوصفها بنية واحدة وبإدراك التأثير (التأثير والتأثر) بين مستوياتها.

وحين ننظر في الأنحاء التقليدية عامة نجدها لا تعطي المستويات اللغوية الاعتناء نفسه وقد نخص أحد المستويات بعناية زائدة، وذلك يمثل إشكالية لأن تلك المستويات يؤثر بعضها في بعض، ولا يمكن أن نحقق وصفا تاما لمستوى معين إلا باستيعاب علاقاته بالمستويات الأخر، وإذا نظرنا في أهم إنجاز عربي في النحو "الكتاب" لسيبويه، نراه أعطى النحو مكانة أولى ثم الصرف، ولا يتناول المستوى الصوتي إلا بوصفه مدخلا لدراسة باب "الإدغام". يفتح سيبويه الباب السالف قائلا: "هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها"<sup>(٩٣)</sup>، وإن كان يمضي في وصف فريد لأصوات العربية، وقد ظل وصفه عمدة في الدرس الصوتي عند العرب، وظل من بعد سيبويه من اللغويين والتجويديين عالة عليه.

والوجه الأساس لهذه المشكلة في النحو التقليدي أنهم قد يهملون الارتباط بين المستويات في وصف بعض التركيبات، فمن أمثلة ذلك أن النحاة ذكروا جواز حذف حرف الاستفهام في العربية، لكن مثل هذا الوصف يظل غير واف إذا لم يذكر دور التنغيم intonation على

(٩٢) يُنظر: الخطيب، قراءات في علم اللغة: ٩٩ وما بعدها.

(٩٣) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٣١.

المستوى الصوتي في جواز ذلك، فإنما يقال: "قام محمد؟" من دون حرف الاستفهام لأنّ التنغيم الاستفهامي يظلّ دالاً على معنى السؤال، فالتنغيم هو السياق الصوتي المجيز لإرادة الاستفهام من دون حرف الاستفهام.

ومن أمثلة افتقاد التكامل بين مستويات اللغة في الوصف أن النحاة تناولوا التعجّب في العربية، وذكروا أنّ له صيغتين: صيغة "ما أفعله" مثل "ما أجمله"، وصيغة "أفعل به" مثل "أجمل به"، غير أن في النحاة المتأخرين من أدرك إمكانية وجود التعجّب من دون وجود تينك الصيغتين، وقد كان أقدم من نبه على ذلك -فيما نعلم- ابن مالك الذي قال في مفتتح باب التعجّب: "للتعجّب ألفاظ كثيرة لا يتعرض لها النحويون في باب التعجب ... وإنما يوّب في النحو من ألفاظه لأفعل وأفعل" (٩٤)، وتابعه عدد من النحاة على تلك الطريقة (٩٥)، وقد مثل لذلك بمثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة/ ٢٨]، وقول الرسول (ص) لأبي هريرة: "سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس"، وقول العرب: "لله دره فارسا"، لكن تبقى المعالجة المكتملة لقضية التعجب من دون صيغتيه مشروطةً بذكر دور التنغيم التعجّبي على المستوى الصوتي، فالتنغيم التعجّبي قادر على منح التركيب معنى التعجّب، وهذا هو القيد الضابط لهذه الظاهرة.

ومن أمثلة عدم تكامل المستويات في التحليل أن النحاة ذكروا أن من روابط الجملة الخبرية بالمبتدأ إعادة المبتدأ بلفظه. ذكروا ذلك في نحو قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة/ ١-٢]، فجملة "ما الحاقة" خبر، وقد أعيد فيها المبتدأ "الحاقة" بلفظه، والأمر مثله في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ \* مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة/ ١-٢] (٩٦). قال النحاة إن رابط الجملة الخبرية بالمبتدأ هو إعادة المبتدأ بلفظه، لكنهم أهملوا السياق الخاص لهذا التركيب، والأدق أن إعادة المبتدأ بلفظه ليس رابطاً بإطلاق، بل هو مخصوص بسياق التهويل والتعظيم. أما في السياق اللغوي المعتاد فلا يُقال: "زيدٌ جاء زيدٌ"، ولا يُقال: "غلامٌ هنديٌّ سافر غلامٌ هنديٌّ"، وهذا مثال على الارتباط بين المستوى التركيبي والسياق، ومما يدلّ على خصوصية سياق التهويل والتعظيم أنهم اشتروا في جملة الصلة أن تكون معلومة، لكن ورود جملة الصلة مُبهمّة غير معلومة قد ورد في ذلك السياق،

(٩٤) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد: ٣/ ٣٠.

(٩٥) ينظر مثلاً: ابن هشام، أوضح المسالك: ٣/ ٢٢٥، السيوطي، همع الهوامع: ٣/ ٥٣.

(٩٦) يُنظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٢/ ٥٠٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَعَشِيَهُمْ مِنْ أَيْمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه/ ٨٧]، وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم/ ١٠]، وقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء/ ١٩] (٩٧).

#### ٧- اللسانيات واستعمال الوسائل التقنية الحديثة

إذا كان تحقيق العلمية أبرز ما يميّز لسانيات اليوم من مقابلها القديم، فإنّ مما يتصل بالضبط العلمي أن العصر الحديث منحنا أدوات تكنولوجية ومعارف جديدة وظّفها اللسانيّ في جوانب عدّة من دراسة اللغة؛ إذ أسهمت تلك الأدوات والمعارف في مزيد من الدقة والموضوعية. قديما استعمل الباحث في مجال الصوتيات (phonetics) الحواسّ المجرّدة، مثل العين والأذن وأعضاء النطق (أي استشعارها)، وهي منهجية قد يعترها الخطأ، ويتباها الغموض، وقد رأينا الأصواتيّ ابن سينا (ت. ٤٢٧هـ) يصفُ مخارج الأصوات العربية، ولكنه عند وصف الصوائت استعمل كلمة "أظن"، وهو ما لم يفعله في وصفه للصوائت، وفي آخر الأمر عاد يقول في الصوائت: "ثم أمر هذه الثلاثة عليّ مشكل" (٩٨)، ومعلوم أن وصف الصوائت أكثر تعقيدا من وصف الصوائت، وهو ما دعا ابن سينا -بتواضع علميٍّ- إلى الاعتراف بإشكاليّتها.

بدأت الانتقال الكبيرة في الدرس الصوتي حينما أصبح بالإمكان تسجيل الكلام المدروس وإعادته مرارا للتأكد من الوصف، لكن طرائق البحث الصوتي تطوّرت في النصف الأول من القرن العشرين، وهو ما سيُعرف فيما بعد بـ"الصوتيات التجريبية"، وهو مجال يستعمل أدوات مختلفة تمنح المراقبة الصارمة للنتائج. من ذلك التصوير بالأشعة السينية الذي يمنحنا صورا ثنائية الأبعاد لأعضاء النطق، وعلى الرغم مما يمنحه التصوير السيني من صور جيدة الدقة، صار نادرا ما يُستعمل لأسباب السلامة وتجنّب مخاطر السرطان وتدمير الخلايا (٩٩).

وثمة أدوات وطرائق عدة استعملت في مجال "التصوير الحنكي" الذي يُعنى بدور اللسان والحنك في إنتاج الصوت، ومن ذلك "الحنك الصناعي" الذي يبيّن مواضع التقاء اللسان

(٩٧) يُنظر: ابن هشام، أوضح المسالك: ١/ ١٦٤.

(٩٨) ابن سينا، أسباب حدوث الحرف: ٨٥.

(٩٩) يُنظر: Pandey & others Experimental Phonetics (1) 00:05:23

بالحنك. يُصنع الحنك لكل إنسان شخصياً ليطباق سقف الفم ويكون رقيقاً جداً، وقبل استعماله يُطلى الحنك بمسحوق ما، ويُلصق بسقف الفم معتمداً على الأسنان. يُنطق بالصوت المراد وصفه، فيصنع اللسان أثره على المسحوق، ثم يُصوّر لتسجيل النتيجة<sup>(١٠٠)</sup>. ومما اخترع مؤخراً "الحنك الرقمي" موقراً لكثير من الوقت والجهد، وهو حنك به أكثر من مئة نقطة مستشعرة يُلصق في سقف الفم، ثم يوصل بالحاسوب ليعكس على الشاشة صورة افتراضية للحنك تبين - بالتزامن - مناطق الحنك التي يلامسها اللسان، وقد تُوّسع في استعماله عن وصف إنتاج الأصوات إلى أعراض تصويب النطق لدى متعلّم اللغة أو أصحاب الاحتياجات الخاصة مثل ضعف السمع والصم<sup>(١٠١)</sup>.

آلات التصوير الدقيقة إحدى الإمكانيات المتاحة اليوم، فثمة في الجهاز النطقي مناطق داخلية لا تراها العين المجردة، مثل الحنجرة، وهنا يمكن إدخال كاميرا صغيرة لمراقبة تشكّل الصوت فيها، وبذلك عرفنا طبيعة الوترين الصوتيين ودورهما، ويُعرّف الصوت المجهور اليوم بأنه: "الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به"، والإمكانية السابقة لم تكن متاحة للقدماء، من أجل ذلك نجد تعريفهم للمجهور ذا غموض، فسيبويه مثلاً يعرف الصوت المجهور بأنه "حرفٌ أُشبع الاعتماد في موضعه، ومُنِعَ النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت"<sup>(١٠٢)</sup>.

وظهرت وسائل تقنية حديثة طوّرت من البحث اللساني ومن أسئلته في بعض فروع اللسانيات، فمن اهتمامات اللسانيات العصبية اكتشاف المناطق المسؤولة عن اللغة في الدماغ، وقد أتاحت أدوات حديثة اكتشاف نشاط الدماغ (سيأتي مزيد لبيان هذا الجانب)، فالتصوير

(١٠٠) يُنظر مثلاً: عمر، دراسة الصوت اللغوي: ٥٩-٦٠.

(١٠١) ( ) للتعريف بالحنك الرقمي وطريقة عمله يُنظر مثلاً:

<https://www.youtube.com/watch?v=0y3dIVxTi-c>

<https://www.youtube.com/watch?v=UXM3gNxGO2M>، أفيد منها بتاريخ: ٢٦ أكتوبر

٢٠٢١م.

(١٠٢) سيبويه، الكتاب: ٤/٤٣٤، وقد ضبطها المحقق عبارة (مَنَعَ النفس) كما هي مبينة هنا، وما أثبت في المتن أولى، وهو الموافق لما ورد في تحقيق مصادر آخر، يُنظر مثلاً: ابن السراج، الأصول في النحو: ٤٠١/٣.

الوظيفي يكشف عن المراكز المسؤولة عن معالجة اللغة في الدماغ؛ إذ يزداد التمثيل الغذائي في المناطق النشطة من الدماغ عند الكلام وتتوهج مما يمكن من تحديدها، والتصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) يكشف عن المجال المغناطيسي الناجم عن نشاط مناطق في الدماغ<sup>(١٠٣)</sup>، وهذا السياق التكنولوجي خلق أسئلة بحثية جديدة في اللسانيات، مثل: ما المواضيع المسؤولة عن اللغة في الدماغ الإنساني؟ هل تُعالج اللغتان المختلفتان في المنطقة نفسها من الدماغ؟ ما الزمن المستغرق لمعالجة اللغة في الدماغ بالملي ثانية؟ ما تأثير الغموض اللغوي في ذلك الزمن المقدّر بالملي ثانية؟

ومما طُوّر في علوم الرياضيات "علم الإحصاء"، وقد تزايدت أهمية الإحصاء واستُعمل في مجالات عدّة، مثل العلوم الطبية، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والصناعة، والكيمياء، والرياضة، والإدارة، واستُعمل الإحصاء أيضا في اللسانيات، أي في دراسة كل وقائع اللغة<sup>(١٠٤)</sup>، و"اللسانيات الكمية" فرع من اللسانيات يستعمل الإحصاء في جوانب مختلفة من دراسة اللغة، مثل تعليم اللغة، وتغيّر اللغة، وبنية اللغة، مثل الأصوات والمقاطع والتركيب والكلمات؛ ففي مجال تعلم اللغات يُستعمل الإحصاء لتحديد أهم ألف كلمة في العربية من جهة شيوعتها، أو الأفعال المئة الأكثر شيوعا في العربية المعاصرة، أو أهم ألف وخمسة مئة كلمة في الإنجليزية، لتكوين قائمة بالكلمات ذات الأولوية تُقدّم لمتعلّم تلك اللغة، وفي مجال بنية اللغة يمكن استعماله في عدد من المستويات، ففي مجال الصّواتة (phonology) يمكن أن نذكر عدد تکرّر صوت معين في نصّ معين أو مدونة كبيرة مثل القرآن، وفي مجال التركيب يمكن أن نذكر النسبة الدقيقة لتكرّر الجملة الشرطية والجملة الاستفهامية والجملة المنفية والجملة البسيطة والمركّبة والمعقدة وغير ذلك في نصّ معين، وبعض القضايا في العربية عُرفت بأحكام من "الطراز الترتيبي"، والصيغ المستعملة في ذلك "أكثر، أقل"، مثل أن الفعل الثلاثي في العربية أكثر من الفعل

(١٠٣) يُنظر: Pandey & others' Experimental Phonetics (١) ٥٧:١٢:٠٠.

(١٠٤) يُنظر: بيرو، اللسانيات: ٢٨.

الرباعي، لكن الدراسة الإحصائية قدّمت أحكاماً كمّية مصحوبة بأرقام ونسب عددية، وتلك دقّة بالغة (١٠٥).

### ٨- اللسانيات وتداخل اللغة بحقول إنسانية أُخر

اللغة ظاهرة إنسانية بالغة التعقيد، وأحد وجوه ذلك التعقيد تداخلها مع حقول أُخر، ومما ميّز اللسانيات الحديثة الوعي المعمّق بتعلّق اللغة مع غيرها، والبحث في أوجه ذلك التعلّق وآثاره، ولذلك ظهر نوعان من البحث اللساني؛ الأول: اللسانيات المضيّقة Micro Linguistics، وهو فرع يقتصر على دراسة اللغة في نفسها، والثاني: اللسانيات الموسّعة Macro Linguistics، وهو فرع يدرس اللغة وعلاقتها بحقول مختلفة، سواء أكانت تلك الحقول تتصل بطبيعة كون الإنسان فرداً في مجتمع، مثل اللسانيات الاجتماعية، أم بطبيعة تكوين الإنسان النفسي والجسدي، مثل: اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية، أم كانت تتصل بجوانب من حياتنا المعاصرة، مثل: اللسانيات الحاسوبية، واللسانيات القضائية، فالإدراك المعمّق لكل ما مضى أسبغ على اللسانيات الحديثة صفة "الاتساع والشمول"، وهذا وجه مما ميّز اللسانيات من الدرس اللغوي التقليدي.

فاللسانيات الاجتماعية: فرع مشترك بين اهتمامات اللسانيات وعلم الاجتماع، ويدرس اللغة من جهة علاقتها بالمجتمع، فمما تهتم به اللسانيات الاجتماعية العوامل الاجتماعية التي تؤثر في الطريقة التي يتكلم بها أفراد ذلك المجتمع؛ لأن المتحدثين بلغة معينة في حقيقة الأمر جماعات متداخلة تفصلها متغيرات اجتماعية معينة، مثل العرق والدين والجنس والمهنة ومستوى الدخل ومستوى التعليم والعمر، وينبني في العادة على كل واحد من تلك المتغيرات تأثيرٌ لغوي ما.

واللسانيات العصبية: فرع مشترك بين اهتمامات اللسانيات وعلم الأعصاب، ويهتم بدراسة الأساس العصبي للغة، وقد تطور هذا الفرع في العقود الأخيرة بسبب تطور تقنيات التصوير الدماغية، وهو يهتم بالدماغ البشري والمناطق ذات العلاقة المباشرة باللغة، والإصابات التي تعترى الدماغ مما تسبب أنواعاً مختلفة من اضطرابات اللغة، وبعض المشكلات المتعلقة باللغة مثل "عسر القراءة" وعلاقة ذلك بالدماغ.

(١٠٥) للوقوف على بحث يستعرض جهود اللسانيين العرب في الدراسات الإحصائية المتعلقة بالأفعال والأبنية والجدور يُنظر: يحيى مير علم، الأفعال والجدور والأبنية - دراسة إحصائية مقارنة.

واللسانيات النفسية: فرع مشترك بين اللسانيات وعلم النفس، ويدرس العمليات العقلية التي تحدث في أثناء الحدث اللغوي فيها واستعمالها بأدوات مستقاة من اللسانيات وعلم النفس وعلوم أخرى. وهناك أسئلة رئيسة يحاول هذا الفرع الإجابة عليها، وهي: كيف يكتسب الإنسان اللغة؟ كيف يفهمها؟ كيف ينتجها؟ ما الطرائق التي ترتبط بها المعرفة اللغوية بالاستخدام الفعلي للغة؟

واللسانيات الحاسوبية: فرع من اللسانيات يهتم ببرمجة الحاسوب بغرض التعامل الآلي مع اللغة في المجالات المختلفة، ويدخل في ذلك الترجمة الإلكترونية من لغة إلى أخرى، سواء أكانت الترجمة شفوية أم كتابية، وتحويل الكلام المنطوق إلى مكتوب (كتابة المنطوق) أو تحويل الكلام المكتوب إلى منطوق (قراءة المكتوب)، والتدقيق الإلكتروني للنصوص إملائيًا ونحويًا وأسلوبيا.

واللسانيات القضائية: فرع يتداخل بين اللسانيات والقضاء، ويدرس النصوص المنطوقة أو المكتوبة ذات الصلة بالجرائم من أجل توفير معلومات تُفيد في دعوى قضائية، فأركان هذا المجال: اللغة والجريمة والقانون، ومن أكثر مجالاته شهرة: رسائل التهديد وطلب الفدية بقصد التوصل إلى مؤلفها.

#### ٩- اللسانيات والوعي بالمنطلقات النظرية في البحث اللغوي

تتبع اللسانيات إلى عهد من تاريخ الإنسان صار فيها أكثر وعياً بالأسس الفلسفية والمنطلقات النظرية لممارساته العلمية، ومن المصادفة أن دي سوسير الذي يُوصف بأنه "أبو اللسانيات في القرن العشرين" استحق ذلك الوصف لما قدّمه من تأسيس فلسفي وتأصيل نظري للسانيات البنوية، فسوسير على مستوى الاشتغال التطبيقي لم يقدم أي دراسة بنوية<sup>(١٠٦)</sup>، وقد كان لسوسير تأثير واضح في عدد ممن جاؤوا بعده، فانطلقت الدراسات البنوية وتعدّدت مشاربها. نشأت لسانيات بنوية وظيفية في مدرسة براغ، ولسانيات بنوية شكلية في مدرسة كوبنهاغن، وكان إشراف المعنى في الأولى واستبعاده في الثانية يعود إلى تأسيسات فلسفية وخيارات نظرية تتوخى تحقيق العلمية<sup>(١٠٧)</sup>. وفي منطقة أخرى وظروف ثقافية مختلفة

(١٠٦) يُنظر: مونان، علم اللغة في القرن العشرين: ٤٨، بارثشت، مناهج علم اللغة: ٨٣-٨٤.

(١٠٧) يُنظر: إفيتش، اتجاهات البحث اللساني: ١٩٥-١٩٦.

"أمريكا" نشأت لسانيات وصفية تُعنى بدراسة لغات السكان المحليين من الهنود الحُمر بدأت على يد الأنثروبولوجي فرانز بواز، واستمرّ هذا الاتجاه بعده حتى بلومفيلد، الذي منح هذا الاتجاه التأسيس النظري منطلقاً من مبادئ فلسفية تتعلق بالمذهب السلوكي الذي كان شائعاً في الوسط العلمي بأمريكا، وقد استُبعد المعنى في تقاليد هذه المدرسة؛ إذ عُدّت قضايا المعنى مما يُجَلّ بمفهوم الضبط العلمي (١٠٨).

إن اللسانيات مراجعة دائمة ومستمرّة للمفاهيم التي تقوم عليها (١٠٩)، وذلك بسبب وعي الباحث اللساني اليوم بالأسس الفلسفية والمنطلقات النظرية التي يصدر عنها، وبسبب دوام التمحيص لتلك الأسس والمنطلقات، ويمكن أن نلاحظ مثالا لتلك المراجعة وإيقاعها السريع في واحدة من أهم المدارس اللسانية المعاصرة "التوليدية التحويلية" للساني تشومسكي. وقد حظيت هذه النظرية بزخم لا مثيل له، حتى قيل: إن تشومسكي أحدث ثورة في اللسانيات، وإن أيّ لساني اليوم يقيس مكاتته الفكرية إلى مكانة تشومسكي (١١٠)، وعلى الرغم من ذلك، تعرّضت لأنواع من النقد، مما جعل صاحبها يعدّها غير مرّة، وكان تلك التعديلات تفاعلاً وتطويراً (١١١). في مقابل ذلك، نجد أن النحو العربي استمرت أسسه الإبتيمولوجية على ما بدأت عليه لما يزيد على عشرة قرون، ولم تتعرّض نظرية النحو العربية للمساءلة والنقد إلا في محاولة وحيدة، كانت على يد ابن مضاء القرطبي (ت. ٥٩٢هـ) صاحب كتاب "الرد على النحاة"، وقد وُثدت تلك المحاولة النقدية بالإهمال، ولم تأخذ حقها من النقاش إلا في وقت متأخر "عصر النهضة".

إن اللساني يلتزم بالمراقبة الذاتية لممارسته العلمية، فهو يفكّر في اللغة، ويفكّر في كيفية تفكيره في اللغة، وكلّ ذلك مما يحقق مفهوم "العلمية" اليوم، ومن التقاليد العلمية أن ينصّ اللساني على منهجه وأن يحدّد إجراءاته وأن يبين مصطلحاته وأن يحدّد نطاق بحثه. ولم يكن الأمر

(١٠٨) يُنظر: إفيثش، اتجاهات البحث اللساني: ٢٧٨-٢٧٩، هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث: ١٢٢.

(١٠٩) يُنظر: غلفان، اللسانيات العربية: ١٤.

(١١٠) يُنظر: سامسون، مدارس اللسانيات: ١٣٥.

(١١١) يُنظر مثلاً: آتشن، اللسانيات: ٤٠٥ وما بعدها.

على هذا النحو في الدرس اللغوي القديم عموماً، ولا نطمح من النحاة العرب أن ينصّوا على أسسهم الفلسفية في دراسة اللغة، بل الأمر يُغفل في مستوى أقل من ذلك "الإجراء البحثي" و"المصطلحات الأساسية"، فمن ذلك أن نحاة تشكيل القاعدة زمن السماع لم يصرّحوا بقضايا أساسية في ممارستهم النحوية؛ سواء أكان ذلك في شق جمع المادة اللغوية أم في شقّ بناء القاعدة المؤسّس على تلك المادة، وذلك الوضع أحدث خلافاً فيما بعد في عدد من القضايا بين الباحثين في النحو العربي.

فمن إغفال بعض الإجراءات البحثية أن النحاة الأوائل - في جانب جمع المادة اللغوية - لم يصرّحوا بالقبائل التي احتجّوا بها، وقد اجتهد أبو نصر الفارابي (ت. ٣٣٩هـ) في تحديد ذلك قائلاً: "وهم قيس وتميم وأسد وطبيّ ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نُقل عنه لسان العرب، والباقون فلم يؤخذ عنهم شيء" (١١٢)، وقد سُميت "قبائل الاحتجاج"، وقد تابع هذه الفكرة باحثون معاصرون كثير، لكن باحثين آخرين أثبتوا أن تحديد الفارابي لا يطابق صنيع أئمة من النحاة السّامعين الأوائل (١١٣)، بل الراجح أخذ النحاة عن عموم العرب، وإن كان الأخذ العمومي ظلّ محكوماً بضابط منهجي آخر: "العمل بالكثير وترك القليل" (١١٤)، وإن كانت القبائل في ذلك العموم لا تستوي كثرة وقلة في الأخذ، ومن قضايا جمع المادة اللغوية أن النحاة السّامعين لا يصرحون بأنواع مصادر الاستشهاد لديهم ومراتبها، فمثلاً لم يصرّح النحاة السّامعون القُدّم بموقفهم من الاستشهاد بالحديث النبوي، ولم تُثَرّ قضية حجّية الاستشهاد بالحديث في النحو إلا في القرن السابع الهجري على يد ابن الضائع وأبي حيان، وقد نسبنا إلى نحاة العهد الأول عدم الاستشهاد بالحديث النبوي، ثم أثبت باحثون معاصرون أنهم استشهدوا

(١١٢) الفارابي، كتاب الحروف: ١٤٧.

(١١٣) لا يطابق صنيع سيبويه في "الكتاب"، يُنظر: جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٣٠٠-٣٠١، ولا يُطابق صنيع الفراء في "معاني القرآن"، يُنظر: عرباوي، أصول اللغة والنحو بين الأخصش والفراء: ١١٠، ولا يطابق مجمل قبائل الاستشهاد عن القدماء من لغويين ونحاة، يُنظر: الحاج صالح، السماع اللغوي: ٧٧-١٣٤.

(١١٤) تناولنا هذه القضية في كتاب "مبدأ الانتظامية في النحو العربي".

بالحديث النبوي على قلة استنادا إلى ما ذكروا من أحاديث في مؤلفاتهم<sup>(١١٥)</sup>، وبصورة عامة لم ينصّ القدماء على مصادرهم السماعية أو يرتّبوها حسب الأهمية، وبالاستناد إلى معيار إحصائي في "الكتاب" لسيبويه، يمكن تقسيم مصادره إلى نوعين: أساسية: الشعر، القراءات القرآنية، الكلام المتداول، وهامشية: الأمثال، الحديث النبوي، وهو تقسيم يوافق إلى حدّ كبير ما يوجد عند غيره من النحاة السماعين في عصر الاحتجاج.

ومن إغفال المصطلحات البحثية أن نحاة زمن السماع -في جانب بناء القاعدة- لا يضعون تعريفا لمصطلحات أساسية تُعدّ من أركان التقعيد النحوي، ولا يبيّنون أيضا كيفية اشتغالها داخل النظرية النحوية، وإنما نجد محاولات التحديد والضبط عند من تأخّر عنهم؛ فمصطلحات أساسية مثل "التعليل" و"التأويل" لا نجد تعريفها ودورها في النظرية عند النحاة السماعين الأوائل، بل عند من تأخّر عن ذلك الزمن، ففي شأن التعليل نجد ابن جني عند معالجته أحد الأمثلة يقول: "اعلم أنّ ما جاء من هذا على أصله فلا كلام فيه، وإنما سبيل ما خرج عن علته أن يُنظر إلى علته؛ ما هي؟"<sup>(١١٦)</sup>، ويقول أبو حيان معلقا على توسّع تعليليّ: "هذه التعاليل لا يحتاج إليها لأنها تعليل وضعيات، والوضعيات ينبغي أن لا تُعلّل"<sup>(١١٧)</sup>. هكذا نرى أن الخروج عن الأصل هو "موجب التعليل"، وفي شأن التأويل نجد لأبي حيان بيانا لدور التأويل داخل التقعيد النحوي، إذ قال: "التأويل إنما يسوغ إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأوّل"<sup>(١١٨)</sup>، وقال ابن الطيب في "فيض نشر الانشراح" شارحا عبارة أبي حيان: "قوله: (ثم جاء شيء... إلخ)، وهذا يكون فيه التعارض، لأنه لا يمكن ردّه لوروده عن فصيح محتجّ بكلامه ولا تُنتقض القواعد به لأنها أصول لا تُنتقض بمجرد ما يُسمع، ولهذا يجب ردّ ما ورد من ذلك للأصول بالتأويل، كما أشار إليه بقوله: (فيتأوّل)"<sup>(١١٩)</sup>.

(١١٥) ينظر: الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف: ١٧.

(١١٦) ابن جني، المنصف (شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني): ٤٢١.

(١١٧) أبو حيان: التذيل والتكميل: ٢/١٣٣.

(١١٨) أبو حيان، التذيل والتكميل: ٤/٣٠٠، وقد نقله السيوطي في الاقتراح: ٦٢.

(١١٩) الفاسي، فيض نشر الانشراح: ٦٧٣-٦٧٤.

## ١٠ - اللسانيات والسعى إلى بناء نظرية لها صفة العموم يمكنها وصف جميع اللغات الإنسانية

اختلفت الظروف الثقافية التي أحاطت بكل من البحث اللغوي التقليدي عند مختلف الأمم والدرس اللساني الحديث. نشأت الدراسات اللغوية التقليدية في ظروف ثقافية دعتها إلى العناية بلغة معينة أو لهجة معينة، وكان ذلك يعود إلى أسباب دينية أو سياسية أو اجتماعية، غير أن اللسانيات جاءت في لحظة كان فيها الوعي الإنساني أكثر تراكمًا، وفي الوقت نفسه أفاد الإنسان المعاصر مما سبقه من معارف حول اللغة. اليوم تطمح اللسانيات إلى بناء نظرية لغوية تعمّ جميع اللغات الإنسانية، وتبحث عن القوى الموجودة في جميع اللغات وبطريقة شمولية، واستخلاص القوانين التي يمكن أن ترد إليها كل العوامل التي تؤثر فيها، وبعبارة أخرى: تبحث اللسانيات في اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية، وهذا بخلاف الأنحاء التقليدية التي لم يكن لها مثل ذلك الطموح لظروفها الثقافية المختلفة.

بالإضافة إلى ما سبق، يرى الوعي اللساني الحديث أنه "من أجل فهم أفضل لتاريخ لغة معينة وبنيتها ووظيفتها، يلزم فهم القوانين العامة لأصل اللغات البشرية وتطورها وبنيتها وعملها ووظائفها على العموم؛ إذ إن كل لغة هي جزء من اللوحة اللغوية والمشاركة للبشرية" (١٢٠).

وفي هذا السياق الجديد المتعلق بالبحث اللساني المعاصر، انبثقت أسئلة جديدة تشمل اللغات الإنسانية، مثل: ما اللغة الإنسانية؟ كيف تعمل؟ كيف يكتسب الطفل اللغة؟ وما مراحل ذلك الاكتساب؟ ما المشكلات التي تواجه الطفل الأصم أو الأعمى في اكتساب اللغة؟ ما الفرق بين اللغة الإنسانية وأنظمة التواصل عند الحيوانات؟ هل يمكن أن تتعلم الحيوانات العليا مثل الشمبانزي اللغة إذا تعرضت للظروف نفسها التي يتعرض لها الطفل البشري؟ بمّ تختلف اللغات الإنسانية بعضها عن بعض؟ كيف يمكن تصنيف اللغات الإنسانية بحسب ذلك الاختلاف؟ ما المقدر المشترك بين اللغات على الرغم من ذلك الاختلاف؟ ما العوامل التي تؤدي إلى تغيير اللغة عبر الزمن؟ ما العوامل التي تؤدي إلى انقراض اللغات؟ كيف تشكل لغة هجينة جديدة من لغتين اثنتين؟

(١٢٠) بوبوفا، ستيرين، اللسانيات العامة: ١٣.

نستخلص من كل المقابلات السابقة أن "اللسانيات أكثر وعيا باللغة، وأكثر وعيا بتداخل اللغة مع غيرها، وأكثر وعيا بنفسها"، أي أكثر وعيا بطبيعة اللغة ونظامها وتغيرها عبر الزمن، وبصورتها المنطوقة والمكتوبة، وتحليلها تحليلاً يُربط بين مستوياتها، وأكثر وعيا بعلاقتها بمجالات أُخر اجتماعية ونفسية وعصبية، وأكثر وعيا بالأسس النظرية التي تتبناها والإجراءات التي تتخذها في تحليل اللغة.

## الخاتمة

توصل البحث إلى أن اللسانيات تدرس اللغة بطريقة علمية متجاوزة بذلك كثيرا من مشكلات الأنحاء التقليدية، وتبدو مزية اللسانيات عند مقارنتها بالنحو التقليدي عند العرب بنتائج البحث الآتية:

١- وقع النحو العربي في عدد من المشكلات مما يتعلّق بتحقيق العلمية، ومنها: مشكلة انعدام البرهنة، مشكلة انعدام الضبط المصطلحي، مشكلة المفاضلة بين اللغات، مشكلة الخلط بين الخطاب العلمي والخطابات الأخرى، وتتخطى اللسانيات مثل تلك المشكلات.

٢- تفرّق اللسانيات بين المنطوق والمكتوب، وقد وقع النحو العربي في صور عدة من الخلط بين المنطوق والمكتوب، على مستوى المصطلح، وعلى مستوى التحليل.

٣- يتصف التحليل اللغوي في اللسانيات بالاستقلالية، وتتجلّى عدم استقلالية البحث اللغوي في النحو العربي بأثر "نزعة التمجيد اللغوي"، وهي نزعة مالت إلى عدم الاعتراف بالخارج عن القاعدة (الشاذ) ما أمكن، واستعمال التأويل في معالجة ذلك.

٤- اللسانيات دراسة وصفية لا معيارية، ومن أوجه المعيارية في النحو العربي الردّ من المسموع، واستعمال الأحكام المعيارية قبولا وردّا، ومن سلبيات المعيارية في النحو العربي أن النحاة سخّروا جهودهم بشكل أساس لدراسة مستوى واحد من العربية "لغة زمن الاحتجاج".

٥- تدرس اللسانيات اللغة مُعترِفَةً بطبيعتها الاجتماعية، وذلك ينعكس على التحليل الفعلي ويجعلنا نتقبل واقعها كيفما كان.

٦- تدرس اللسانيات اللغة مدرّكة للتأثر بين مستوياتها، وقد وقع النحو التقليدي عند العرب في صور من عدم التكامل بين مستويات التحليل، مثل تحليل المستوى التركيبي من دون ربطه بالمستوى الصوتي، أو إطلاق أحكام تتعلّق بالمستوى التركيبي مع إهمال سياقها الخاص.

٧- تمتاز اللسانيات باستعمال وسائل تقنية حديثة في دراسة اللغة، فمن ذلك مجال "الصوتيات التجريبية"، وفي بعض فروع اللسانيات، مثل اللسانيات العصبية، تستعمل أجهزة لكشف وظائف الدماغ، ويُستعمل الإحصاء في عدد من فروع البحث اللغوي.

٨- تدرك اللسانيات تداخل اللغة بحقول إنسانية أخرى، وقد أوجد ذلك عددا من فروع البحث اللساني المشتركة، وتسمى الحقل المختص بذلك "اللسانيات الموسّعة".

٩- اللسانيات على وعي تام بالأسس النظرية التي تتبناها والإجراءات التي تتخذها، ولم يكن النحو العربي على تلك الطريقة، ولذلك أغفل قداماء النحاة بيان بعض الإجراءات البحثية وتعريف المصطلحات الأساسية.

١٠- تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لها صفة العموم، يمكنها وصف جميع اللغات الإنسانية، ولم تكن الظروف الثقافية المحيطة بالنحو العربي تمنحه مثل هذا الطموح.

### المصادر والمراجع

- آتشسن (جين)

- اللسانيات: مقدمة إلى المقدمات، ترجمة وتعليق: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦م، ط ١.
- بذور الكلام - أصل اللغة وتطورها، ترجمة: وفيق فائق كريشات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م، (د.ط).

- الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد)

- الإنصاف في مسائل الخلاف، دار الفكر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

- إفيتش (ميلكا)

- اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: د. سعد عبد العزيز مصلوح ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ط ٢.

- إيلوار (رونالد)

- مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، الجمهورية العربية السورية، ١٩٨٠م، (د.ط).

- باي (ماريو)

- أسس علم اللغة، ترجمة: مختار أحمد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ط ٨.
- لغات البشر: أصولها، طبيعتها، تطورها، ترجمة: د. صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٧٠م، (د.ط).

- بارتشت (بريختيه)

- مناهج علم اللغة - من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة: د. سعيد بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م، ط ١.

- باقر (د. مرتضى جواد)

- مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٢م، ط ١.

- بريك (حمزة)، بن وناس (مفيدة)

• اللسانيات التمهيدية واللسانيات المتخصصة - دراسة مقارنة، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات بجامعة الشاذلي بن جديد-الطارف، المجلد ٤، العدد: ٧، يناير، ٢٠٢١م.

- بسيوني (د. ريم)

• علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي - محاور ونظريات، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ٢٠١٨م، ط ١.

- بكوش (د. فاطمة الهاشمي)

• نشأة الدرس اللساني العربي الحديث - دراسة في النشاط اللساني العربي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ط ١.

- بيروفا (زينابدا)، ستيرنين (يوسف)

• اللسانيات العامة، ترجمة: تحسين رزاق عزيز، ابن النديم للنشر والتوزيع - وهران، دار الروافد الثقافية - ناشرون - بيروت، ٢٠١٧م، ط ١.

- بوهاس، جيوم، كولوغلي

• التراث اللغوي العربي، ترجمة: كمال شاهين ومحمد حسن عبد العزيز، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، (د.ط).

- بيرو (جان)

• اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، ٢٠٠١م، (د.ط).

- تراسك (ر.ل.)

• أساسيات اللغة، ترجمة: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ط ١.

- تودوروف (تزنقان)، ديكر (أوراوالد)

• فلسفة اللغة، ترجمة: يونس لشهب، مجلة الرافد، الشارقة، يونيو، ٢٠١٣م، العدد: ١٩٠.

- جستيس (ديفيد)

• دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ترجمة: د. حمزة المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ط ١.

- جمعة (د. خالد عبد الكريم)
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية، مصر الجديدة، ١٩٨٩م، ط ٢.
- ابن جنبي (أبو الفتح عثمان بن جنبي)
- الخصائص، حققه: أحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-٥٢م، ط ١.
  - المنصف (شرح ابن جنبي لكتاب التصريف للمازني)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ط ١.
- الحاج صالح (د. عبد الرحمن)
- السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٢م، (د.ط).
- حسان (د. تمام)
- اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠١م، ط ٤.
- حركات (د. مصطفى)
- اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ط ١.
- حمادية (سناء)، العياشي (عميار)
- اللسانيات التمهيدية بين الكتابة العربية والكتابة المترجمة (كتاب مدخل إلى اللسانيات لمحمد محمد يونس علي، وكتاب مدخل إلى اللسانيات لبرثيل مالبرج، ترجمة السيد عبد الظاهر أنموذجا)، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات بجامعة الشاذلي بن جديد-الطارف، المجلد: ٤، العدد: ٧، يناير، ٢٠٢١م.
- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هندواي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، ط ١.
  - البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠م، (د.ط).
- الخطيب (د. أحمد شفيق)
- قراءات في علم اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط ١.
- دويتشر (غاي)

• عبر منظار اللغة - لم يبدو العالم مختلفا بلغات أخرى؟، ترجمة حنان عبد المحسن مظفر، عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر، ٢٠١٥م، العدد: ٤٢٩.

- ديكسون (روبرت)

• هل بعض اللغات أفضل من بعض؟، ترجمة: حمزة بن قبالان المزيني، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٨م، ط ١.

- الرازي (محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين)

• التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ، ط ٣.

- سامسون (جيفيري)

• مدارس اللسانيات: التسابق والتطور، ترجمة: د. محمد زيادة كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، (د.ط).

- ابن السراج (محمد بن السري بن سهل)

• الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ط ١.

- السعران (د. محمود)

• علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ط ١.

- السُّوسُوة (د. عباس)

• اللغة الهجين في السعودية - دراسة لسانية اجتماعية، السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد: ٢٣، العدد: ٣، مايو، ٢٠٢١م.

- سيوييه (عمرو بن عثمان)

• الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، (د.ت)، ط ١.

- ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله)

• أسباب حدوث الحرف، تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د.ت)، (د.ط).

- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)

• الاقتراح في علم أصول النحو، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ٢٠٠٦م، ط ٢.

- همع الهوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م، ط ١.
- الشوكانى (محمد بن على)
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ١٩٩٨م، ط ٢.
- الطبري (محمد بن جرير بن يزيد)
- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١.
- العبسي (د. خالد)
- مبدأ الانتظامية في النحو العربي، دار حوران، سوريا، ٢٠٢٠م، ط ١.
- عرباوي (أحمد الشايب)
- أصول اللغة والنحو بين الأخفش والفراء من خلال كتابيهما "معاني القرآن"، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، ٢٠١٤م.
- علم (د. يحيى مير)
- الأفعال والجذور والأبنية - دراسة إحصائية مقارنة، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، المجلد: ٣٥، العدد: ٣، ٢٠١٦م.
- عمر (د. أحمد مختار)
- دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١م، (د.ط).
- علوي (د. حافظ إسماعيل)
- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد - المتحدة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط ١.
- علوي (د. حافظ إسماعيل)، الملائخ (د. احمد)
- قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم - بيروت، منشورات الاختلاف - الجزائر، ٢٠٠٩م، ط ١.
- غلفان (د. مصطفى)

• اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني-عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، سلسلة رسائل وأطروحات رقم (٤)، (د.ت)، (د.ط).

• اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد، عمان، ٢٠١٣م، ط ١.

- الفارابي (محمد بن محمد بن طرخان)

• كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠م، ط ١.

- الفاسي (محمد بن الطيب)

• فيض نشر الاشراف من روض طي الاقتراح، تحقيق: د. محمود يوسف فجال، دار البحوث للدراسات، دبي، ٢٠٠٢م، ط ٢.

- فروم (هشام)، بركاني (محمد رضا)

• الكتابة التمهيدية اللسانية العربية - قراءة في الوظيفة والهدف، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست الجزائر، مجلد: ١٠، عدد: ٢، ٢٠٢١م.

- فندريس (ح.)

• اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥١م، (د.ط).

- فوك (كاترين)، قوفيك (بيارلي)

• مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤م، (د.ط).

- كاليفي (لويس جان)

• حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: د. حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ط ١.

- كريستل (دافيد)

• التعريف بعلم اللغة، ترجمة: د. حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب- فرع الإسكندرية، ١٩٧٩م، ط ١.

- لوينز (جون)

- اللغة واللغويات، ترجمة: د. محمد العناني، دار جرير، عمان، ٢٠٠٩م، ط ١.
- نظرية تشومسكي، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ط ١.
- مالبرج (برتيل)
- مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ط ١.
- مارتان (روبير)
- مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٧م، ط ١.
- مارتينيه (أندريه)
- مبادئ السنوية عامة، ترجمة: ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٠م، ط ١.
- ماصري (هاجر)، بن شوية (وسام)
- اللسانيات التمهيدية في الكتابات العربية الحديثة بين تمثّل المفهوم اللساني وواقع التلقي العربي، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، كلية الآداب واللغات بجامعة الشاذلي بن جديد-الطارف، المجلد ٤، العدد: ٧، يناير، ٢٠٢١م.
- المبرد (محمد بن يزيد)
- المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م، ط ١.
- مجدوب (د. عز الدين)
- المنوال النحوي العربي، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية- صفاقس، ١٩٩٨م، ط ١.
- المرادي (أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم)
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م، ط ١.
- مونان (جورج)
- مفاتيح الألسنية، تعريب: الطيب البكّوش، منشورات سعيدان، تونس، ١٩٩٤م، (د.ط.).

• علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: د. نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، (د.ت)، (د.ط).

- النجار (د. طارق)

• الأفعال التي لا مصادر لها بين اللغويين والنحويين، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت، المجلد: ١، العدد: ٣٣، ٢٠١٣م.

- ابن هشام (عبد الله بن هشام الأنصاري)

• أوضح المسالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م، (د.ط).

• شرح قطر الندى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

• مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، (د.ط).

- هلبش (جرهارد)

• تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: د. سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ط ١.

- بول (جورج)

• معرفة اللغة، ترجمة: د. محمود فراج عبد الحافظ، الإسكندرية، دار الوفاء، ١٩٩٩م، (د.ط).

#### المراجع الأجنبية

- Strang Burton, Rose-Marie Dechaine, Eric Vatikiotis-Bateson

• **Linguistics for dummies**, John Wiley & Sona, Canada, 2012.

- Victoria Fromkin, Robert Rodman, Nina Hyams

• **An introduction to language**, Wadsworth, 2011, 9<sup>th</sup> edition.

- Pramod Pandey, Reenu Punnoose, Caroline Fery

• **Experimental Phonetics** (1),

<https://www.youtube.com/watch?v=DJyH541SNfE>, retrieve 24/10/2021.

### Romanization of Resources

- Atchison (Jin)
- Allisaaniyyaat: Muqaddimah 'ila Almuqaddimaat, translated and commented on by: 'Abdul-Kareem Muhammad Jabal, National Center for Translation, Cairo, 2016, 1<sup>st</sup> ed.
- Buthour Alkalaam - Aṣl Allughah Wataṭawwuruha, Translated by: Wafeeq Faa'iq Kryshat, Publications of the General Syrian Board of Book, Damascus, 2009, w. e.
- Al-'Anbari (Abu Al-Barakat 'Abdul-Raḥman bin Muhammad)
- Al'inṣaaf fi Masaa'il Alkhilaaf, Dar Al-Fikr, Cairo, w. d., w. e.
- Ivich (Milka)
- Ittijahaat Albaḥth Allisaani, Translated by: Dr. Sa'd 'Abdul-'Aziz Maṣlouḥ and Dr. Wafa'a Kamil Fayid, the Supreme Council of Culture, the National Project of Translation, Cairo, 2000, 2<sup>nd</sup> ed.
- Iylwar (Runald)
- Madkhal 'ila Allisaaniyyaat, Translated by: Badruddeen Al-Qasim, Damascus University Press, Syrian Arab Republic, 1980, w. e.
- Bay (Mario)
- 'Osus 'Elm Allughah, Translated by: Mukhtar Ahmed 'Omar, 'Aalam Al-Kutub, Cairo, 1998, 8<sup>th</sup> ed.
- Lughaat Albashar: 'Oṣouluha, Tabee'atuha, Ṭaṭawwuruha, Translated by: Dr. Salah Al-'Arabi, Publishing Dept. at the American University, Cairo, 1970, w. e.
- Borscht (Bridgette)
- Manaahij 'Elm Allughah - min Hermann Paul ḥatta Noam Chomsky, Translated by: Dr. Sa'eed Buḥayri, Al-Mukhtar Foundation, Cairo, 2004, 1<sup>st</sup> ed.
- Baqir (Dr. Murtaḍha Jawad)
- Muqaddimah fi Naḥariyat Alqawaa'id Attawleediyah, Dar Al-Shurouq, Amman, 2002, 1<sup>st</sup> ed.
- Burayk (Ḥamzah), Ibn Wannas (Mufeedah)
- Allisaaniyyaat Attmheediyah Wallisaaniyyaat Almutakhaṣṣisah - Deraasah Muqaaranah, Journal of Literatures, Languages and Humanistic Sciences, College of Literatures and Languages at Al-Shathili bin Jadeed University – Al-Taarif, Vol. 4, Issue: 7, Jan., 2021.
- Basyouni (Dr. Reem)
- 'Elm Allughah Al'ijtima'i fi Alwaṭan Al-'Arabi – Maḥaawir Wanazhariyaat, Riyadh, King 'Abdullah bin 'Abdul-'Aziz International Center for Serving the Arabic Language, 2018, 1<sup>st</sup> ed.
- Bakkoush (Dr. Faṭimah Al-Hashimi)

- Nash'at Addars Allisaani Al-'Arabi Alhadeeth – Deraasah fi Annashaat Allisaani Al-'Arabi, Itrak for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2004, 1<sup>st</sup> ed.
- Popova (Zinaida), Stirnin (Yusuf)
- Allisaaniyyaat Al'aamah, Translated by: Tahseen Razzaq 'Aziz, Ibn Al-Nadeem for Publishing and Distribution – Wahran, Dar Al-Rawaafid Al-Thaqaafiyah – Publishers – Beirut, 2017, 1<sup>st</sup> ed.
- Buhas, Guillaume, Kwlwghly
- Atturath Allughawi Al-'Arabi, Translated by: Kamal Shahin and Muhammad Hasan 'Abdul-'Aziz, Cairo University Center for Publishing and Distribution, Cairo, 2000, w. e.
- Piero (Jan)
- Allisaaniyyaat, Translated by: Al-Hawwas Mas'oudi and Miftaah bin 'Arous, Dar Al-'Aafaaq, 2001, w. e.
- Trask (R. L.)
- Asaasiyyaat Allughah, Translated by: Ranya Ibrahim Yusuf, the Supreme Council of Culture, the National Project of Translation, Cairo, 2002, 1<sup>st</sup> ed.
- Tudorov (Tsiftan), Dicker (Aurawald)
- Falsafat Allughah, Translated by: Yunus Lashhab, Al-Rafid Journal, Al-Shariqah, June, 2013, Issue: 190.
- Justis (David)
- Dalaalat Alshakl fi Al-'Arabiyah fi Dhaw' Allughaat Al-'Urubbiyah, Translated by: Dr. Hamzah Al-Muzayni, King Faisal Center for Islamic Research and Studies, Riyadh, 1425H, 1<sup>st</sup> ed.
- Jum'ah (Dr. Khalid 'Abdul-Kareem)
- Shawaahid Alshi'r fi Kitaab Saibawayh, Al-Dar Al-Sharqiyah, New Egypt, 1989, 2<sup>nd</sup> ed.
- Ibn Jinni (Abu Al-Fath 'Othman bin Jinni)
- AlKhaşaa'iş, Verifier: Ahmed 'Ali Al-Najjar, House of Egyptian Books, Cairo, 1952-1956, 1<sup>st</sup> ed.
- Almunşif (Sharh Ibn Jinni Likitaab Attaşreef Lil-Mazini), Verifier: Muhammad 'Abdul-Qadir Ahmed 'Aţallah, House of Scientific Books, Beirut, 1999, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Ĥajj Şaliĥ (Dr. 'Abdul-Rahman)
- Assamaa' Allughawi Al'elmi 'inda Al-'Arab Wamafhoum Alfaşaaĥah, Mufim for Publishing, Algeria, 2012, w. e.
- Ĥassaan (Dr. Tammam)
- Allughah bayna Almi'yaariyyah Walwaşfiyyah, 'Aalam Al-Kutub, Cairo, 2001, 4<sup>th</sup> ed.
- Harkat (Dr. Mustafa)

- Allisaaniyyaat Al'aamah Waqaḍhaaya Al-'Arabiyah, Al-'Aṣriyyah Library, Beirut, 1998, 1<sup>st</sup> ed.
- Hamaaydah (Sana'a), Al-'Ayyaashi ('Amyaar)
- Allisaaniyyaat Attamheediyyah bayna Alkitaabah Al-'Arabiyah Walkitaabah Almutarjamah, (the book of Madkhal 'ila Allisaaniyyaat by Mohammed Mohammed Yunus 'Ali, and the book of Madkhal 'ila Allisaaniyyaat by Partil Malmberg, Translated by: Al-Sayyid 'Abdul-Zhahir as a model), Journal of Literatures, Languages and Humanistic Sciences, College of Literatures and Languages at Al-Shathili bin Jadeed University – Al-Taarif, Vol. 4, Issue: 7, Jan., 2021.
- Abu Ḥayyan Al-Andalusi (Muhammad bin Yusuf)
- Attathyeel Wattakmeel fi Sharḥ Kitaab Attasheel, Verifier: Hasan Hindaawy, Dar Al-Qalam, Damascus, 2000, 1<sup>st</sup> ed.
- Albahr Almuḥeet, Verifier: Ṣidqi Muhammad Jameel, Dar Al-Fikr, Beirut, 2010, w. e.
- Al-Khaṭīb (Dr. Ahmed Shafeeq)
- Qiraa'at fi 'Elm Allughah, House of Publishing for Universities, Cairo, 2006, 1<sup>st</sup> ed.
- Dwitcher (Gay)
- 'Abra Minzhaar Allughah - Lima Yabdu Al'aalam Mukhtalifan Bilughaat 'Okhra?, Translated by: Ḥanan 'Abdul-Muhsin Muḥzaffar, 'Aalam Al-Ma'rifah, Kuwait, October, 2015, Issue: 429.
- Dickson (Robert)
- Hal Ba'dhu Allughaat 'Afdhal min Ba'dh?, Translated by: Ḥamzah bin Qablaan Al-Muzayni, Dar Kunuz Al-Ma'rifah, Amman, 2018, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Razi (Muhammad bin 'Omar bin Al-Hasan bin Al-Husain)
- Attafseer Alkabeer, House of Arabian Heritage Revival – Beirut, 1420 H, 3<sup>rd</sup> ed.
- Samson (Jeffery)
- Madaaris Allisaaniyyaat: Attasaabuuq Wattaṭawwur, Translated by: Dr. Muhammad Ziyaadah Kubbah, King Sa'ud University, Riyadh, 1997, w. e.
- Ibn Al-Sarraj (Muhammad bin Al-Sirri bin Sahl)
- Al'oṣoul fi Annaḥw, Verifier: Dr. 'Abdul-Husain Al-Fatli, Al-Risalah Foundation, Beirut, 1985, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Sa'ran (Dr. Mahmoud)
- 'Elm Allughah: Muqaddimah lilqaari' Al-'Arabi, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1963, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Sousuwah (Dr. 'Abbas)

- Allughah Alhajeen fi Al-Sa'udiyah – Deraasah Lisaaniyyah 'Ijtimaaiyyah, Saudi Arabia, King Faisal Center for Islamic Research and Studies, Journal of Linguistic Studies, Vol.: 23, Issue: 3, May, 2021.
- Saibawayh ('Amr bin 'Othman)
- Alkitab, Verifier: 'Abdul-Salam Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut, 1<sup>st</sup> ed., w. d.
- Ibn Sina (Abu 'Ali Al-Husain bin 'Abdullah)
- Asbaab Hhudouth Alharf, Verifier: Muhammad Hassaan Al-Tayyaan, Yahya Mir 'Alam, Publications of the Arabic Language complex, Damascus, w. d., w. e.
- Al-Suyouti ('Abdul-Rahman bin Abi Bakr)
- Al'iqteraah fi 'Elm 'Oşoul Annaħw, adjusted and commented on by: 'Abdul-Hakeem 'Aṭiyyah, revised and introduced by: 'Ala'uddeen 'Aṭiyyah, Dar Al-Beirut, Damascus, 2006, 2<sup>nd</sup> ed.
- Ham'u Alhawaami', Verifier: 'Abdul-'Aal Salim Mukarram, House of Scientific Research, Kuwait, 1980, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Shawkani (Muhammad bin 'Ali)
- Faṭḥ Al-Qadeer AlJami' bayna Fanni Arriwaayah Waddirayah min 'Elm Attafseer, Dar Al-Kalim Al-Ṭayyib, Damascus-Beirut, 1998, 2<sup>nd</sup> ed.
- Al-Ṭabari (Muhammad bin Jareer bin Yazeed)
- Jami'u Albayaan fi Ta'weel Al-Qur'an (Tafseer Al-Ṭabari), Verifier: Ahmed Muhammad Shakir, Al-Risalah Foundation, Beirut, 2000, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-'Absi (Dr. Khalid)
- Mabda' Al'intizhaamiyyah fi Annaħw Al-'Arabi, Dar Hawran, Syria, 2020, 1<sup>st</sup> ed.
- 'Arabaawi (Ahmed Al-Shaayib)
- 'Oşoul Allughah Wannaħw bayna Al-'Akhfash Wal-Fara'a min Khilaal Kitaabayhima "Ma'aani Al-Qur'an", PhD Thesis, Muhammad Khayḍar University, College of Literatures and Languages, Arabic Language Dept., Algeria, 2014.
- 'Alam (Dr. Yahya Meer)
- Al'afaal Waljuthour Wal'abniyah – Deraasah 'Iḥşaa'iyyah Muqaaranah, Journal of Arabic Language College, Al-Manşourah, Vol.: 35, Issue: 3, 2016.
- 'Omar (Dr. Ahmed Mukhtar)
- Deraasah Assawt Allughawi, 'Aalam Al-Kutub, Cairo, 1991, w. e.
- 'Alawi (Dr. Ḥafizh Isma'ili)
- Allisaaniyyaat fi Althaqaafah Al-'Arabiyyah Almu'aaşerah – Deraasah Tahleeliyyah fi Qaḍhaaya Attalaqqi Wa'ishkaalaatih, Dar Al-Kitab Al-Jadeed – Al-Muttaḥidah, Beirut, 2009, 1<sup>st</sup> ed.
- 'Alawi (Dr. Ḥafizh Isma'ili), Al-Mallaakh (Prof. Mohammed)

- Qaḍhaaya 'Ibestimoulujjiyyah fi Allisaaniyyaat, Al-Dar Al-'Arabiyah Lil-'Oloum – Beirut, Al-'Ikhtilaaf Publications - Algeria, 2009, 1<sup>st</sup> ed.
- Ghalfan (Dr. Mustafa)
- Allisaaniyyaat Al-'Arabiyah Alḥadeethah: Deraasah Naqdiyyah fi Almaṣaadir Wal'osus Annazhariyyah Walmanhajiyyah, Al-Ḥasan Al-Thani University – 'Ayn Al-Shaqq, College of Literatures and Humanistic Sciences, 'Ayn Al-Shaqq, a series of Theses and Dissertations – No. (4), w. d., w. e.
- Allisaaniyyaat Al-'Arabiyah, 'As'ilat Almanhaj, Dar ward, Amman, 2013, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Farabi (Muhammad bin Muhammad bin Ṭarkhan)
- Kitaab Alḥurouf, Verifier: Muhsin Mahdi, Dar Al-Mashriq, Beirut, 1970, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Fasi (Muhammad bin Al-Ṭayyib)
- Fayḍ Nashr Al'inshiraah min Rawḍh Ṭayy Al'iqтираah, Verifier: Dr. Mahmoud Yusuf Fajjal, House of Research for Studies, Dubai, 2002, 2<sup>nd</sup> ed.
- Al-Fasi (Muhammad bin Al-Ṭayyib)
- Alkitaabah Attamheediyyah Allisaaniyah Al-'Arabiyah – Qeraa'ah fi Alwazheefah Walhadaf, Journal of Problems of Language and Literature ('Ishkalaat fi Allughah Wal'adab), Tamenghist University, Algeria, Vol. 10, Issue: 2, 2021.
- Fundris (J.)
- Allughah, Translated by: 'Abdul-Ḥameed Al-Dawakhili and Muhammad Al-Qaṣṣaṣ, Anglo Egyptian Library, Cairo, 1951, w. e.
- Fock (Kathrin), Cowfick (Pearly)
- Mabadi' fi Qaḍhaaya Allisaaniyyaat Almu'aṣirah, Translated by: Al-Munṣif 'Aashour, University Publications Divan, Algeria, 1984, w. e.
- Califi (Lewis Jan)
- Ḥarb Allughaat Wassiyaasaat Allughawiyyah, Translated by: Dr. Ḥasan Ḥamzah, Center of Arab Union Studies, Beirut, 2008, 1<sup>st</sup> ed.
- Crystal (David)
- Atta'reef Bi'elm Allughah, Translated by: Dr. Ḥilmi Khalil, the General Egyptian Board of Book – Alexandria Branch, 1979, 1<sup>st</sup> ed.
- Lewens (John)
- Allughah Wallughawiyyaat, Translated by: Dr. Muhammad Al-'Anaani, Dar Jareer, Amman, 2009, 1<sup>st</sup> ed.
- Nazhariyyat Chomsky, Translated by: Dr. Ḥilmi Khalil, Dar Al-Ma'rifah Al-Jaami'iyyah, Alexandria, 1985, 1<sup>st</sup> ed.
- Malmburg (Bartil)

- Madkhal 'ila Allisaaniyyaat, Translated by: Dr. Al-Sayyid 'Abdul-Zhaahir, the National Center for Translation, Cairo, 2010, 1<sup>st</sup> ed.
- Martan (Ropier)
- Madkhal Lifahm Allisaaniyyaat, Translated by: Dr. 'Abdul-Qadir Al-Maheeri, the Arabian Foundation for Trranslation, Beirut, 2007, 1<sup>st</sup> ed.
- Martinet (André)
- Mabaadi' 'Alsuniyyah 'Aammah, Translated by: Rimon Rizqallah, Dar Al-Hadaathah, Beirut, 1990, 1<sup>st</sup> ed.
- Maşry (Hajar), Bin Shuwayyah (Wisam)
- Allisaaniyyaat Attamheediyyah fi Alkitaabah Al-'Arabiyah Al-Hadeethah bayna Tamaththul Almafhoum Allisaani Wawaaqi' Attalaqqi Al-'Arabi, Journal of Literatures, Languages and Humanistic Sciences, College of Literatures and Languages at Al-Shathili bin Jadeed University – Al-Taarif, Vol. 4, Issue: 7, Jan., 2021.
- Al-Mubarrad (Muhammad bin Yazeed)
- Almuqtaḍhab, Verifier: Muhammad 'Abdul-Khaliq 'Oḍhaymah, the Supreme Council of Islamic Affairs, Cairo, 1963, 1<sup>st</sup> ed.
- Majdoub (Dr. 'Ezzaddeen)
- Alminwaal Annaḥawi Al-'Arabi, Dar Muhammad 'Ali Al-Ḥami, Tunisian Republic – Şafaqis, 1998, 1<sup>st</sup> ed.
- Al-Muradi (Abu Muhammad Badraddeen Hasan bin Qasim)
- Tawḍheeḥ Almaqaasid Walmasaalik Bisharḥ 'Alfiyyat Ibn Malik, Verifier: 'Abdul-Rahman 'Ali Sulaiman, Dar Al-Fikr Al-'Arabi, Cairo, 2001, 1<sup>st</sup> ed.
- Mownan (George)
- Mafaateeh Al'alsuniyyah, Arabized by: Al-Ṭayyib Al-Bakkoush, Sa'eedan Publications, Tunis, 1994, w. e.
- 'Elm Allughah fi Alqarn Al'ishreen, Translated by: Dr. Najeeb Ghazzawi, Ministry of Higher Education, Damascus, w. d., w. e.
- Al-Najjar (Dr. Tariq)
- Al'af'aal allati la Maşdar Laha bayna Allughawiyeen Wannaḥawiyeen, Literatures and Social Sciences Annuals, Kuwait University, Kuwait, Vol.: 1, Issue: 33, 2013.
- Ibn Hisham ('Abdullah bin Hisham Al-'Anşari)
- 'Awdḥaḥ Almasaalik, Verifier: Muhammad Muḥyiddeen 'Abdul-Ḥameed, Al-'Aşriyyah Library, Beirut, 1992, w. e.
- Sharḥ Qaṭr Annada, Verifier: Muhammad Muḥyiddeen 'Abdul-Ḥameed, Dar Al-Fikr, Beirut, w. d., w. e.
- Mughni Allabeeb, Verifier: Muhammad Muḥyiddeen 'Abdul-Ḥameed, Al-'Aşriyyah Library, Beirut, 1987, w. e.
- Hilbish (Gerhard)

- Tareekh 'Elm Allughah Alhadeeth, Translated by: Dr. Sa'eed Buḥayri, Zahra'a Al-Sharq Library, Cairo, 2003, 1<sup>st</sup> ed.
- Yowl (George)
- Ma'rifat Allughah, Translated by: Dr. Mahmoud Farraaj 'Abdul-Hafizh, Alexandria, Dar Al-Wafa'a

ISSN-L :2617-3158

P-ISSN :2710-107X

E-ISSN :2710-0324

DOI:10.52840

# Abhath

A quarterly scientific peer reviewed journal published by the Faculty of  
Education, Hodeidah University



Vol. 9 - Second Issue - June 2022

[www.abhath-ye.com](http://www.abhath-ye.com)